العدد ٨٢٠ — الاثنين ٢١ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

# الرسالة والمروءة

## فهرس العدد


صفحة

هل الشقاق طبع فى العرب ؟ ... : الأستاذ أبو خلدون ساطع المصرى بك ٣٢٥

روسيا والسلم ... ... ... : الأستاذ عمر حليق ... ... ... ٣٢٩

فتى من الريف ... ... ... : الأستاذ كامل محمود حبيب ... ... ٣٣٢

يرحمك الله أبا عبيدة ! ... ... : الأستاذ محمد سليم الرشدان ... ٣٣٤

الناحية الدينية فى شعر محرم ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ... ٣٣٧

إلى الخير ... ... ... ... : الأستاذ ثروت أباظه ... ... ٣٣٩

القوة الحربية لمصر والشام فى عصر الحروب الصليبية ... ... ... } الأستاذ أحمد أحمد بدوى ... ... ٣٤١

موكب الأبطال ... ( قصيدة ) : الأستاذ على محمود طه ... ... ٣٤٣

« تعقيبات » : حول البقرية والحرمان — إلى صديقى الفنان المجهول — ٣٤٤

— لحظات مع إيليا أبى ماضى — رأى فى ترجمة « آلام فرتر » — من الأعماق

ولوعة الذكرى ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٣٤٦

« الأدب والفن فى أسبوع » : الأدب والفن فى المرئى — كشكول ٣٤٧

الأسبوع — صورة شعرية للشعراء — بين صديقى الأستاذ الأحمر وبينى —

من الأعماق ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٣٤٩

« البريد الأدبى » : أين اللوم فى « الرسالة » ؟ — أدب القصة ٣٥٠

وأدب المغب — مدمس — بين نفثه وبخر — فصيح نطب والنعوت التى عليه ٣٥١

« الكتب » : رميض الأدب بين غيوم السياسة — لصاحب المقال ٣٥٢

الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه باشا : بقلم الأستاذ أحمد أحمد الجمعى ... ٣٥٣


٢٤ ٠ ٣٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 820

Lundi — 21 — 3 — 1949

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

ثمن العدد ٢٠ مليما

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٢١ مارس سنة ١٩٤٩ « السنة السابعة عشرة

## هل الشقاق طبع فى العرب ؟

جواب عن سؤال

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصري بك

( بقية ما نشر فى العدد الماضي )

وأما ما ذكرتموه عن رأى ابن خلدون فى هذه القضية ، فهو أيضاً فى حاجة إلى إنعام النظر .

فقد نقلتم الفقرات التالية ، من مقدمة هذا المفكر العظيم :

« والعرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرياسة ؛ قلما تجتمع أهواؤهم . من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجملة » .

أنا أعرف أن ابن خلدون أبدى هذا الرأى فى مقدمته المشهورة ، ولكنى أرى من الضرورى أن نفطن جيداً إلى مايقصده من كلمة العرب الواردة فى هذه الفقرات ؛ ثم نبحث عن نصيب رأيه هذا من الصحة والصواب .

من الأمور التى يجب أن تبقى نصب أعيننا على الدوام — حين نقرأ مقدمة ابن خلدون ونستشهد بها — أن مؤلفها كان يقصد من كلمة « العرب » العربان بوجه خاص وفقاً لما هو متعارف بين العوام — ؛ ولم يقصد قط أفراد الأمة العربية بوجه عام كما نفهمها ونتصورها نحن الآن .

إننى سردت الأدلة الكثيرة التى تبرهن على ذلك برهنة قاطعة فى عدة مقالات نشرتها فى بيروت وبغداد وفى فصل خاص من الدراسات التى كتبتها عن مقدمة ابن خلدون ، ولا أرى لزوماً إلى إعادة تلك البراهين والأبحاث فى هذا المقام . ولما كانت الدراسات المبحوث عنها قد نفدت ، رأينا أن ننقل هنا نموذجين من البراهين المسرودة فيها ، وقد انتخبنا أحدهما من القسم الأول من المقدمة ، والثانى من القسم الأخير منها ، قلت :

« فلنلاحظ الفصل الذى يقول فيه ابن خلدون « إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ولنمعن النظر فى الأدلة التى يذكرها لتعليل رأيه هذا :

« فنهاية الأعمال البادية كلها عندهم الراحة والتقلب ، وذلك مناقض للتكون الذى به العمران ومناف له . فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لتسنيم أثافى القدر فينقلونه من المبانى فيخربونها عليه ، ويسدونه قبالك . والخشب إنما حاجتهم إليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه . . » ( ص ١٤٩ ) .

ومن البديهى أن مدار البحث هنا لا يتعدى البدو الذين يعيشون تحت الخيام . ولا مجال للشك فى أن ابن خلدون عندما كتب هذه العبارات وقال « لا يحتاجون إلى الحجر إلا لوضع

القدور ، ولا إلى الخشب إلا لنصب الخيام » لم يفكر قط فى أهل دمشق أو القاهرة ، ولا بسكنة تونس أو فاس . إنما قصد أعراب البادية وحدهم . وقال :

« وقد كنا تقدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر ، وأن العرب أبعد الناس عنها . وصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها وعن سوقها » ( ص ٥٤٤ ) .

يلاحظ أن ابن خلدون يذكر هنا كلمة العرب مرتين مقابلا لكلمة الحضر ، بشكل لا يترك مجالا للشك فى أنه يقصد منها البدو على وجه التخصيص ويخرج من نطاق شمولها الحضر على الإطلاق . غير أنى أرى من الضرورى أن ألفت الأنظار إلى موضع الفقرات الآنفة الذكر من أبحاث المقدمة : إن تلك الفقرات مستخرجة من الفصل السابع والعشرين من الباب الثانى ؛ وعنوان الباب المذكور هو : « العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض فى ذلك من الأحوال » . وذلك أيضاً يدل على أن ما جاء فى هذه الفقرات ينصب على الذين يعيشون فى حالة البداوة ، ولا يشمل الذين يعيشون فى المدن . ومن المعلوم أن أحوال المدن والدول تكون موضوعات البابين الثالث والرابع من المقدمة . والفقرة الآنفة الذكر لا تدخل فى نطاق البابين المذكورين .

وبناء على كل ما تقدم يحق لنا أن نعبر عن رأى ابن خلدون فى هذه القضية — وفق أسلوب كلامنا الحالى — بالعبارات التالية : « إن العرب — عندما كانوا فى حالة الفطرة والبداوة — لم يستطيعوا أن يؤلفوا دولة ويؤسسوا ملكا ، إلا عندما تأثروا بدين أو ولاية تزيل منهم التحاسد والتنافس ، وتحطهم على الانقياد والاجتماع » .

ومن الغريب أن كلمات ابن خلدون فى هذا المضمار — عندما تفرغ فى هذا القالب — تصبح موافقة تمام الموافقة للنظرية التى توصل إليها علماء الاجتماع فى العصر الحاضر عن منشأ الملك بوجه عام : لأن أصحاب هذه النظرية يقولون إن الممالك لم تتكون فى بادىء الأمر إلا بفضل المعتقدات الدينية .

إن الأبحاث التى قام بها عدد كبير من العلماء والمفكرين — مستندين إلى المعلومات التى جمعوها عن أحوال الأقوام البدائية من جهة ، وعن تواريخ الدول القديمة من جهة أخرى — قد أوصلتهم إلى هذه النظرية . فقالوا : إن تكون الجماعات السياسية الكبيرة والممالك العظيمة ، فى القرون القديمة ، لا يمكن أن يفسر إلا بتأثير الاعتقادات الدينية ، على اختلاف أنواعها وأطوارها . فالاعتقاد بقوى خارقة للعادة — من الاعتقاد بالقوى السحرية إلى الإيمان بالقوة الإلهية — هو الذى مهد السبل إلى تكون الجماعات الكبيرة واستقرار الحياة السياسية .. فى أطوار البداوة والهمجية .

وقد كتب الباحث الإنكليزى المشهور « فرازر » كتاباً ضخماً ضمنه أمثلة وبراهين كثيرة ، تدل على أن الملكية نشأت من الاعتقادات السحرية : كان الناس يخضعون للملك ، لاعتقادهم بأنه يتمتع بقوة سحرية ، وكانوا يرون من الطبيعى أن يخلفه ابنه ، لاعتقادهم بأن هذه القوة السحرية تنتقل منه إليه .

وقد برهن المؤرخ الفرنسى المشهور « فوستل دو كولانج » — فى كتابه « المدينة القديمة » — أن الحياة السياسية عند اليونان والرومان أيضاً قامت على بعض الاعتقادات والعبادات .

وقد لاحظ جميع المؤرخين أن الاعتقادات الدينية لعبت دوراً هاماً فى سياسة دول القرون الأولى . والاعتقادات الدينية السياسية اجتازت مراحل عديدة ومتنوعة : الملك إله — الملك ابن الإله — الملك من نسل الآلهة — الإله يتقمص جسد الملك — الإله ينفخ فى الملك شيئاً من روحه — الإله يمد الملك بالهاماته — هذه أشكال مختلفة — وأطوار متتالية — من الاعتقادات التى كانت تربط الملكية بالدين ، وتساعد على جمع طوائف كبيرة من الناس تحت إدارة واحدة فى تلك القرون القديمة .

أنا لا أرى هنا مجالا لذكر الأمثلة والبراهين والنصوص التى تؤيد هذه النظرية . ولذلك سأكتفى بالإشارة إلى كتاب « تيارات التاريخ العالى العظيمة » الذى نشره أخيراً « جاك بترن » أستاذ التاريخ فى جامعة بروكسل . تصفحوا المجلد الأول من هذا الكتاب القيم ، ( وهو المجلد الذى يلخص التطورات التاريخية التى حدثت فى العالم منذ القدم حتى ظهور الإسلام ) ،

تجدوا فى كل فصل من فصوله تقريباً بعض الأبحاث التى تتم عن الترابط المتين الذى كان قائماً فى تلك العصور القديمة بين تطور الحوادث السياسية وبين تقلب المعتقدات الدينية .

لا شك فى أن الحروب كانت تلعب دوراً أساسياً فى توسع الممالك وتكون الامبراطوريات : فإن ملك قطر من الأقطار يستولى على مدن وأقطار أخرى بقوة السلاح ، ويوسع حدود ملكه عن طريق الفتوح العسكرية . غير أن نتائج هذه الفتوح ما كانت تدوم وتستقر ، إلا إذا دعمها شىء من التفاعل والتزاوج والتلاقح بين معتقدات البلاد الفاتحة وبين معتقدات البلاد المفتوحة ، وهذا التفاعل كان يأخذ أشكالا مختلفة : تارة كان الاعتقاد ينتشر بأن آلهات جميع تلك البلاد لا يختلف بعضهم عن بعض إلا بالأسماء ؛ فكان يصبح الملك ممثلا لآلهة البلاد الفاتحة والمفتوحة على حد سواء . وطوراً كان يتولد الاعتقاد بأن إله الملك الفاتح هو الإله الأكبر . وأما آلهة البلاد المفتوحة فهى من أتباع ذلك الإله الأعظم — وعلى كل حال كانت هذه المعتقدات — وأمثالها من المعتقدات المتنوعة — تساعد إلى حد كبير على خضوع أهالى البلاد المفتوحة للحكم الجديد خضوعاً نفسياً ، فكانت تقلل أو تزيل الحاجة إلى استعمال القوة والقسوة لإدامة ذلك الخضوع .

ولا أرانى فى حاجة إلى القول بأن أمثال هذه المعتقدات الدينية السياسية ، ما كان يمكن أن تدوم بعد انقضاء عهود الوثنية القديمة ، ومع هذا أرى من الضرورى أن أشير إلى نظرية « سياسية دينية » سادت على الأذهان فى أوروبا — فى عهد تكوين الممالك — حتى القرن الثامن عشر : وهى النظرية القائلة « بأن الملوك يحكمون بتفويض من الله » . ومما لا مجال للشك فيه أن هذه النظرية كانت بمثابة « الأصداء الأخيرة » لتلك المعتقدات القديمة التى شرحناها آنفاً .

وخلاصة القول أن الأبحاث التاريخية والاجتماعية تدل دلالة قاطعة على أن خضوع الناس إلى أحكام السلطات ، لم يتيسر فى بادىء الأمر — إلا بفضل المعتقدات الدينية .

ويظهر من ذلك — بكل وضوح — أن ما قاله ابن خلدون فى مقدمته المشهورة ، عن العرب فى طور البداوة ، لا يختلف عما يقوله العلماء والمفكرون المعاصرون عن الأمم القديمة بوجه عام .

فنستطيع أن نقول — بكل تأكيد — أن تاريخ العرب لا يشذ عن تواريخ سائر الأمم ، من هذه الوجهة أيضاً .

* * *

بعد هذه النظرات الانتقادية التى وجهناها إلى المقدمات التاريخية ، يجدر بنا أن نرجع إلى السؤال الأصلى ، لنرى : هل الشقاق طبع فى العرب ؟

إن المقارنات التى قمنا بها آنفاً بين تاريخ الأمة العربية وبين تواريخ الأمم الأخرى من وجهة الشقاق ، تسهل علينا الإجابة عن هذا السؤال إجابة مبنية على قياس صحيح واستقراء تام .

إن الشقاق وليد الأنانية ، والأنانية طبع غريزى فى الإنسان ، وجماح هذه الأنانية لا يكبحها إلا التربية الاجتماعية المتينة ، والتشكيلات الحكومية القوية ، والنزعة المثالية الفعالة ، والإيمان الدينى أو القومى أو الوطنى العميق .

فى كل أمة من أمم الأرض ، وفى كل دور من أدوار التاريخ يظهر أناس تتغلب فى نفوسهم الأنانية على العوامل التى ذكرناها آنفاً ، ولكن الرأى العام من جهة ، والقوانين الموضوعة من جهة أخرى ، تعاقب هؤلاء وتعزلهم عن المجتمع بصور شتى ووسائط متنوعة ، وتجعلهم عبرة للآخرين ، فتحول بذلك دون استفحال هذه الأنانية وانتشارها بين الناس .

غير أنه يأتى أحياناً فى كل أمة من أمم الأرض بعض الأدوار من التاريخ تضعف فيه هذه القوى الوازعة فتتغلب الأنانيات من عقالها ، وبتضاءل تأثيرات الرأى العام فيها ، فتفقد سلطة الحكومات عليها ، وكل ذلك يؤدى إلى ازدياد الشقاق وانتشار الخلاف بين الناس .

هذا ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث فى كل أمة من الأمم ، وفى جميع أدوار التاريخ .

وليس فى طباع العرب ما يجعلها شاذة عن سائر الأمم فى هذا المضمار .

هذا هو جوابى ، يا صديقى الأستاذ ، عن السؤال الذى وجهتموه إلى .

لا يوجد فى طباع الأمة العربية ما يجعلها شاذة عن سائر

الأمم فى أمر الاتفاق والانشقاق .

يجب علينا أن نعرف ذلك حق المعرفة ، كما يجب علينا أن نعتقد اعتقاداً جازماً بأن طبائع الأمم لا تبقى على وتيرة واحدة على مر العصور . وقد صدق من قال : « إن من يتوهم الاستقرار فى طبائع الأمم كمن ينشد البقاء فى الموجات التى تحدث على سطح الماء عند ما نرمى حجرا فيها » .

فإن الماضى لا يقيد الحال تقييداً مطلقاً . وتحقق الوحدة والاتفاق فى الماضى لا يكفى لدرء أخطار التفرقة والشقاق فى الحال ، كما أن حدوث التفرقة والشقاق فى الماضى لا يمنع الاتحاد فى المستقبل .

فيجب علينا أن نتخلص من نزعة الانشغال بالماضى كثيراً ، وأن نقلع عن الالتفات إلى الوراء دائماً . فلا يجوز أن نحاول تبرير مساوئنا الحالية بنقائص أسلافنا الأقدمين ، ولا أن نسعى لإلقاء مسئولية نكباتنا على عاتق تاريخنا القديم ، ولا يسوغ لنا — على وجه خاص — أن نستسلم إلى دواعى الخور والكسل ، وأن نتقاعس عن الكفاح والعمل ، بحجة أن الحالة الحاضرة نتيجة حتمية لطبائع الأمة ولمجرى تاريخها العام .

إننا لم نستجمع قوانا المادية والمعنوية ، ونحشدها لتحقيق هدفنا الأسمى ، بل إنما عملنا بتراخ وتردد بدون عزم قوى وتنظيم متين وإيمان عميق ، فأضعنا بذلك فرصاً كثيرة ،

ومهما يكن الأمر ، يجب علينا أن لا نقطع الأمل فى النجاح فى المستقبل ، وأن لا نتأخر عن إعادة الكرة بإيمان أعظم ، إذ يجب علينا أن لا ننسى أنه ما من أمة وصلت إلى الكمال الذى تنشده إلا بعد أن اجتازت عقبات كثيرة ، وذاقت مرارة الفشل مرات عديدة ، واضطرت إلى تضحيات كبيرة .

إن الأمم الحية الواثبة تحبط بالنكبات فتندفع إلى العمل وتواصل الكفاح بحرارة أشد وعزم أمتن ، كما أنها تغضب من الفشل وتستفيد من دروسه فتعيد الكرة لتضمن النجاح ولو بعد حين .

وأستطيع أن أقول : إن الإيمان القوى العميق بإمكانيات أمتنا ، والعمل الحازم المتواصل لتحقيق غايتنا ، والاستعداد التام للكفاح مصحوباً بروح التضحية الحقيقية ، ومدعوماً بالأمل الذى لا يقهر !

* * *

، وكأنى أسمع سلسلة أسئلة اعتراضية تقابل ما قلته آنفاً :

؟ ألا تلاحظ فظاعة الاختلافات التى تهز كيان جامعة الدول العربية هزاً عنيفاً ؟ ألا تشعر بالأخطار التى صارت تهدد مستقبلنا فى عقر دارنا ؟

بلى ، إنى أدرك وأشعر وألاحظ كل ذلك إدراكا تاماً وشعوراً عميقاً وملاحظة دقيقة ، وأتألم من كل ذلك ألماً شديداً .

# روســـــيا والسلم

الأستاذ عمر حليق

هنـاك تعليلان فى رأى ( ماكس بيلوف )[1] للأسباب التى دعت موسكو مؤخراً لأن تحمل غصن الزيتون وتواجه خصومها حلفاء الغرب أمام الرأى العام العالمى بأنهم دعاة حرب لا يرضون الدخول فى مفاوضات مباشرة لتدعيم السِّلْم فى هذا الجو الذى ازداد توتراً .

أما التعليل الأول فيقول بأن روسيا جادَّة فى حملتها السلمية الأخيرة ، وأن التحطيم الذى أصاب المدن والمعاسكر الروسية فى الحرب المنصرمة هو تحطيم طاحن لا يزال هوله يسيطر على مخيلة الشعب الروسى فهو يخشى الحرب حقاً ويبغى السلم ، وأن حالته النفسانية هى كحالة معظم سكان أوربا الذين نالتهم المجزرة الأخيرة وبلاياها . ولذلك فإن هذا التعليل يجد من يؤمن به من الأوربيين خصوصاً أتباع الأحزاب اليسارية التى تميل إلى مسايرة السوفيات. ويقول أنصار هذا التعليل كذلك أن العقلية الروسية ليست عقلية عسكرية كعقلية الشعوب الجرمانية ، ولذلك فإن حرباً طاحنة كالحرب المنصرمة كانت كافية لأن تزيل غشاوة العنف والنطرسة العسكرية من أعين الروس فتجعل رغبتهم فى السلم حقيقية .

أما التعليل الثانى فيقول إن مراكز التوجيه فى قيادة روسيا السوفياتية اليوم فى يد جماعة من المتهوسين وهم مسؤولون عن مسلك موسكو الحالى فى العلاقات الدولية ، وأن ستالين هو أسير هذه الجماعة التى منها مولوتوف وزير الخارجية وكبار قادة الجيش السوفياتى . وأنه لو تسنى لأحد أن يخترق هذا الحصار المضروب على ستالين — كما فعل عدد من الصحفيين الأجانب فى موسكو مؤخراً — لوجد أن لديه استعداداً حقيقياً للسلم . ويبدو لى أن المستر ترومان ومستشاريه الخصوصيين فى البيت الأبيض من أنصار هذا الرأى . فهم يعتقدون خطأ أو صواباً بأن ستالين رجل « طيب القلب » على حد تعبير ترومان يرغب فى السلم لو تخلص من أسر ( البوليت بيرو ) المكتب السياسى الأعلى للاتحاد السوفياتى .

هذان هما التعليلان اللذان يقومان لتفسير حملة السلم التى صدرت عن القيادة الشيوعية الدولية فى الأسابيع الأخيرة .

ولنا أن نتساءل أولا : هل الروس راغبون فى السلم حقاً ؟ وإذا اقتنع حلفاء الغرب بهذه الرغبة ، فلماذا لا يمدون يدهم للروس لتدعيم السلام فى نية صادقة ؟

والجواب على هذا التساؤل صعب . فإن تاريخ السوفيات فى روسيا يشير إلى سرعة التقلب فى سياسة روسيا الخارجية عند ما تتطلب منها الظروف ذلك . وخير مثل على ذلك اتفاق روسيا وألمانيا النازية فى مطلع الحرب العالمية الثانية بالرغم مما فى المذهبين ( الشيوعى والنازى ) من التناقض والمعاداة والتنافس . ومن أبرز الأمثلة على التقلب موقف الشيوعية السوفياتية من الصهيونية التى وصفها ستالين فى كتاب ( الماركسية ومشاكل

(١) أستاذ النظم المقارنة فى جامعة اكسفورد .

وهل كان فشل مؤتمر فرنكفورت فى ألمانيا — قبل قرن واحد من يومنا هذا — أقل خطراً من فشل مجلس جامعة الدول العربية هذه السنة ؟ ألم يقل بعض الساسة — عقب انحلال المؤتمر المذكور — « أن الألمان فقدوا حتى قابلية الدفاع عن أنفسهم ؟» ألم يتساءل بعض الكتاب عندئذ قائلين : « أين هى ألمانيا ؟ هل لها وجود فى غير مخيلة بعض الشعراء وأحلام بعض رجال السياسة » ؟ ومع كل ذلك ، ألم تتحقق وحدة ألمانيا فى حياة المكبرين ممن حضروا مؤتمر فى فرنكفورت الفاشل ؟

وبناء على هذه الملاحظات أقول بلا تردد : لا يجوز لنا أن نترك مجالا لتسرب الخور والقنوط إلى أنفسنا . ويجب علينا أن نعلم علم اليقين : أن النكبة لا تصل إلى حدها الأقصى إلا عندما تثبط العزائم ، كما أن الفشل لا يصبح تاماً إلا عندما يؤدى إلى التقاعس عن مواصلة العمل والكفاح ...

فعلينا أن نحذر كل الحذر من العمل على زيادة النكبة وإتمام الفشل .. بالاستسلام إلى القنوط والخور ...

أبو خلدون ساطع الحصرى

الأقليات والاستعمار ) الذى صدر سنة ١٩٢٠ بأنها « حركة رجعية انتهازية ، وأنها وليدة الاستعمار الغربى » . وقد كانت الصهيونية محرمة فى روسيا ومضطهدة إلى ما قبل بضع سنوات ( عام ١٩٤٣ ) ، وكانت تحارب فى السر والعلانية . فإن هذا الموقف الروسى يحاضر العلاقات بين موسكو ويهود فلسطين والتحالف السوفياتى الصهيونى ترعنصر هذا التقليد الانتهازى فى سياسة السوفيات الخارجية . وهو فى الواقع تقلب لا تخلو الدبلوماسية الدولية إجمالاً منه وإن كان يبدو عادياً فى سلك السوفيات .

فقد تكون إذن حملة السلام الروسية الجديدة خطوة انتهازية جديدة يتطلبها الموقف الدولى ، دفع إليها حل الشعوب فى المعسكر الغربى على الحد من برامج التسلح الهائلة التى تندفع الآن دول الحلف الغربى فى تنفيذها . والضرب على وتر السلام الحساس فى البلدان الديمقراطية خصوصاً فى الولايات المتحدة يجد صداه فى مجتمع يشكو من ارتفاع الضرائب التى تتطلبها هذه الالتزامات الضخمة التى تفرضها مشاريع مارشال وشريعة ترومان والبرنامج الجديد لتوسيع هذا النوع من الحرب الاقتصادية فى بلدان الشرق والقارة الأفريقية وأمريكا اللاتينية .

هذا بالإضافة إلى أن حدة الموقف الدولى تفرض تعاوناً وثيقاً بين بريطانيا وأمريكا ، فإذا خفت هذه الحدة وشاعت الرغبة فى السلام التى تذكيها حملات ماهرة كحملات الشيوعية الدولية فإن هذا التعاون الإنجلوسكسونى سيفتر بينما تمضى روسيا قدماً فى برامجها المنظمة التى تتقيد — فى ظل الاقتصاد الماركسى الموجه — بتحالف ثنائى فى مجال الاقتصاد والاستعداد العسكرى فى القارة الروسية على الأقل .

فمن خبراء الشؤون الروسية إذن من يقول بأن هذه الخطوة الروسية السلمية ليست إلا تكتيكا لا يستر حقيقة المقاصد والغايات . ويؤكدون بأن رسوخ النظام السوفياتى فى روسيا اليوم ورسوخ العقيدة الماركسية فى أذهنة حلتها تجعل التقلب فى التصريحات والسلك الخارجى أمراً سهلاً يستطيع الروس اللجوء إليه دون أن يبدلوا حقيقة سياستهم من خصومهم ومن برامجهم الواقعية لبلشفة العالم . ولنا فى الصهيونية مثل على هذه الحقيقة .

فكانا يعلم كيف أن الأحزاب والجماعات اليهودية فى فلسطين والعالم إجمالاً كانت ولا تزال تتوخى هدفاً واحداً هو السيطرة على نقطة التركز فى الشرق الأوسط ، وأن السياسة الصهيونية كانت ولا تزال تتقلب تبعاً الظروف الطارئة ، فمرة وطن قومى ، ومرة حكم ثنائى ، ومرة تقسيم محدود بدون شرق الأردن ، وبعد ذلك — حين تواتى الظروف — أرض الميعاد بحدودها الطبيعية وهى تشمل أجزاء من مصر وسوريا والعراق ولبنان . فوازمان كتالين كان ولا يزال يتلاعب بتصريحات تتلاءم مع الظروف الحالية . والمتتبعون لتطور السلك الصهيونى يدركون ذلك تمام الإدراك .

فالتقلب فى سياسة روسيا الخارجية ، يعود إلى ثقة صناع السياسة فى الاتحاد السوفياتى من رسوخ النظام الذى يسوسونه خصوصاً وأن وسائل المواصلات الفكرية بين الشعب الروسى والعالم الخارجى خاضعة لمراقبة توجيهية دقيقة يتولاها خبراء مهرة مما يجعل للتصريحات الروسية الرسمية طابعين : طابعا للاستهلاك الخارجى ، وآخر للداخلى . وليس من الضرورى أن يتناسق الطابعان . وهذا فى الواقع مسلك تقليدى فى الدبلوماسية الدولية ، ولكنه لا يتخذ طابع الاتقان الذى يتخذه فى ظل الحكم السوفياتى المطلق .

وعلى أساس هذا الاستقرار فى النظام الشيوعى فى روسيا كان خبراء الأنجلوسكسون يعتقدون بأن برامج ( البوليت بيرو ) ( والكومنفورم ) الشيوعية الدولية لبلشفة العالم كهدف أساسى جوهرى لتدعيم الشيوعية فى روسيا والدول الشيوعية الأخرى — هذا البرنامج لا يزال موضوع العمل عند السوفيات ، وعلى هذا الأساس ، فلا صحة لادعاء الماركسيين الأخير بأن الشيوعية والرأسمالية والنظم الأخرى تستطيع أن تعيش بسلام فى عالم واحد

والحقيقة التى يشير إليها هؤلاء الخبراء ( ومنهم بوهلن مستشار وزارة الخارجية الأمريكية ) هى أن جوهر الفلسفة الماركسية يصر على أن لا حياة للدول والشعوب الشيوعية المبدأ والنظام فى عالم فيه شعوب ودول لا تدين بهذا المبدأ . وهذا الإصرار الماركسى يستند إلى نظريات فى الاقتصاد وعلم الاجتماع تحلها العقيدة الماركسية على طريقتها الديالكتيكية الجدلية ،

وليس المجال هنا لبحثها .

إذن فإن دعوة للسلم تأتي من جانب السوفيات هي في الواقع اكتساب للوقت ، وعرقلة برامج التسلح ، وإثارة الريبة بين خصوم حلفاء الغرب وهذه جميعها — ككل خطوة من خطوات السوفيات — تستند إلى تحليلات علمية — علمية لأنها مستمدة من السياسة الروسية المنظمة — وهي كالاقتصاد الموجه ومشاريع الخمس سنوات الاقتصادية تلتزم الدقة وتؤمن بالنتائج على أساس هذه الدقة .

وعلى أسس هذه السياسة الموجهة فإن السوفيات يعتقدون بأن كل مجتمع لا يدين بالشيوعية ولا يسير بموجب الاقتصاد الماركسي الموجه مآله إلى التفكك ، فهناك مشاكل التضخم المالي وبلبلة التوازن التجاري وصراع العمال وأصحاب العمل مما يخلق مشاكل اقتصادية واجتماعية تؤدي إلى الثورة العمالية وتطرح بالنظم الرأسمالية في المراحل النهائية .

ولما كانت روسيا غير مستعدة الآن للحرب استعداد خصومها فمن الخير إطالة مدة الاستعداد وإيهام الدول الرأسمالية والرأي العام الدولي بالرغبة الصادقة في السلم، وفي ذلك مكسب مزدوج ؛ فهو يحقق النبوءة الماركسية في تفكك المجتمع الرأسمالي — كما تشير علانية إلى ذلك الدراسات السوفياتية للاقتصاد الأمريكي المعاصر — وهو يعطي روسيا متسعاً من الوقت للاستعداد .

والماركسية فوق ذلك تعتقد بأن طبيعة المجتمعات الرأسمالية متنافسة تسعى لالتهام بعضها البعض — وهذا التنافس أصيل مبعثه طبيعة النظم الاقتصادية على ظل الرأسمالية (والاشتراكية الغربية كبريطانيا ليست ماركسية حقة عند السوفيات) ولذلك فإذا نجحت روسيا في تخفيف حدة الموقف الدولي استطاعت أن تسبب فتوراً في شدة التحالف الأمريكي البريطاني وتترك النظم الرأسمالية تكتسب طبيعتها التنافسية فيقوض بعضها البعض بدل الاتحاد على تقويض الروس بأي ثمن .

ويستنتج من هذا كله — والاستنتاج نظري في أكثره — أن روسيا تعلم بأنها عاجزة الآن عن الكفاح المسلح لتعميم المذهب الشيوعي في كل مكان على أنقاض النظم والمجتمعات التي لا تؤمن بالماركسية — وهذا العجز قصور عن مجاراة المستوى الصناعي والقوة والدعامة المالية المتوفرة في المعسكر الغربي في الآونة الحالية على الأقل — وأنها تنهج سياسة عاجلة مؤقتة لتحقيق الحدة في معسكر الخصم عن طريق التلويح بغصن الزيتون .

وفوق ذلك فقد تكون تجربة المارشال تيتو في يوغسلافيا حيث مازج بين القومية المحلية الضيقة وبين النظام الماركسي ، وما يشاع من أن الشيوعيين الصينيين ينوون الاقتداء بتيتو — هذه التجربة جعلت موسكو ترى أن المجتمعات الشيوعية خارج الاتحاد السوفياتي قد لا تقبل الرضوخ مباشرة للكومنفورم والبوليت بيرو وإن كانتا تشبهانها في الاتحاد الفكري والأهداف . فإن النظام السوفياتي في روسيا قد جعلت من القيصرية الروسية الصارمة مجتمعاً روسياً يستسلم بسهولة للحكم المركزي المطلق . وهذه حالة فريدة قد لا تنطبق على كثير من المجتمعات الأخرى خصوصاً في أواسط أوروبا وشرقيها حيث تكثر الأقليات العنصرية والطائفية وعداؤها للحكم المركزي تقليدي . والواقع أن لينين وستالين قد أوليا مشكلة الأقليات دراسة وافية .

وهذه — كما ترى — حالات تصعب معالجتها على يد موسكو في جو دولي متوتر ، ولذلك فإن مراكز التوجيه في معسكر حلفاء الغرب تنظر إلى غصن الزيتون الذي حملته موسكو في الآونة الأخيرة على أنه مناورة بارعة في الصراع الدولي لا يلاقي رد فعل إيجابي لدى حلفاء الغرب .

وهذا يعني أن مشاكل السلم الحقيقية لا تزال على ما هي عليه من الخطورة السريعة الانفجار .

( نيويورك ) عمر عليي

معهد الشؤون العربية الأمريكية في نيويورك


## من مؤلفات نقولا الحداد العلمية

| | ص |
|---|---|
| عالم الذرة أو الطاقة الذرية Atomic Energy | ٢٠ |
| هندسة الكون بحسب ناموس النسبية Relativity | ٣٥ |
| فلسفة التفاحة أو جاذبية نيوتن Newtons Gravitation | ١٠ |

تطلب هذه الكتب من دار الرسالة ومن المؤلف في ٢ ش البورصة الجديدة ومن بعض المكاتب خالصة أجرة البريد

صور من الحياة :

# فتى من الريف

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال صاحبي : جئت إلى القاهرة — أول ما جئت — لألتحق بالأزهر ، وكانت أمي قد نذرتني للقرآن ، وندرني أبي للعلم ؛ فأنا وحيدهما ، وأنا أمنيتهما على الله حين أحسا بالوحدة وقد خلت الدار من الحياة والحركة لأنها خلت من مرح الطفولة وعبثها ، وحين شعرا بأن تاريخهما على الأرض يوشك أن ينبتّ فما لهما ولد ، وحين عاشا زماناً يجدان لذع القحط والجفاف ، جئت إلى القاهرة وأنا فتى ريفي لا أعرف المدينة إلا معنى يقع على أوتار أذني موقع النغم الموسيقي العذب ، فينجذب له قلبي وتنبسط أساريري ، ثم رأيتها فإذا هي نور يخطف البصر ، وحركة يتنزّع لها القلب ، وثورة يحار لها الفؤاد ، وحياة دائمة مضطربة لا تنام ولا تخبو . وبدت عليّ سمات الحيرة والارتباك ، فإنه ليزعجني أن أسير في الشارع خيفة المدنيّ أن يمكر بي وله أفانين شيطانية تسخر من بساطة الريفي وسذاجته ، وخيفة السيارة أن تصدمني ومالي عهد بأساليب الحيطة والحذر ، وخشية الترام أن يحطمني وبه نهم دائم إلى لحم البشر يتأرّث ولا يشبع . ليتني كنت أستطيع أن أغدو وأروح في شوارع القاهرة أتهادى في مشيتي ، وأختال في جبتي ، وأفخر بعمامتي ، وتحت إبطي محفظة بها وريقات صفر لا أعي عما فيها حرفاً !

وكان أبي — رحمه الله — قروياً ، نشأ وتربى في الريف لا يبرحه إلا لماماً ، اتسم بسماته وانطبع بطابعه ، والريف ينفث في بنيه روح الكسل والتواكل ، فهو يقضي ساعات الشتاء يستمتع بالدفء والفراغ ، ويطوي عمر الصيف يستروح النسمات الهينة اللطيفة في ظل شجرة ، يجلس إلى رفاقه على المصطبة يتجاذبون أخبار القرية ، أو يتربعون على الثرى يلعبون السيجة ، أو يعقدون المجالس الصاخبة يشربون الشاي الأسود . ولا همّ له — من بعد — إلا أن ينظر — بين الفينة والفينة — إلى النبت وهو يسرب من بين الثرى لينمو رويداً رويداً ، وإلا أن يرقب البهائم وهي ترعى البرسيم في هدوء وعلى مهل . وسكن أبي إلى هذه الحياة وهي تنطوي على نسق واحد ، فأصبح لا يطيق صخب المدينة ولا يصبر على ضجتها . ولكنه ما يستطيع أن يقذف بي إلى القاهرة وحيداً ، وهو لا يطمئن إلى واحد من شباب القرية وطلابها ممن تزخر بهم المدينة لأن فيهم الغفلة والطيش ، ومرت الأيام وأبي لا يستقر على رأي .

ثم عهد بي أبي — بعد لأي — إلى الشيخ فهمي وهو شيخ كبير من شيوخ القرية ، نيف على الخمسين ولما يبرح طالباً في الأزهر ، يأتي إلى الجامع بين الحين والحين ، يجلس إلى أستاذه ساعة أو بعض ساعة ، ثم ينفلت إلى القرية في غير تمهل ولا تلبث . وهو حريص على أن يظل طالباً في الأزهر على رغم أنه لا يطمئن إلى حلقة الدرس ، ولا يُعنى بالقراءة والمطالعة ، ولا يأخذ نفسه بالمذاكرة والحفظ ، وهو منذ عين بمسكنه في القاهرة ، وهو حجرة ضيقة قذرة ، لا تتسنم هبّات الهواء النقي ، ولا تغتسل بأشعة الشمس الدافئة ، ولا ينفتح جفناها على نور ، ولا ينتفض من جنباتها الغبار ، مُطلّ من الأثاث إلا من حصيرة بالية لا تكاد تستر أرض الحجرة ، وإلا من مخدة ولحاف مشت عليهما أحداث الزمن فتركتهما مزقاً لا تماسك ، وإلا من صندوق ضم أشتاتاً من حاجات الطالب الغريب ، مبعثرة متناثرة في غير عناية ولا ترتيب : ففيه الخبز والتموين ، وفيه اللباس والملبوسة ، وفيه الكوز والإبريق ، وفيه ... وفيه الكتاب والحذاء ، وإلا من زير مهجور في ضاحية وإلى جانبه موقد ... وعاش هذا الشيخ بين القرية والقاهرة ، وانطوت السنون فما أفاد علماً ولا أصاب عقلا ولا بلغ غاية ، غير أنه عرف مسارب القاهرة ومنعطفاتها .

وتنازعتني عاطفتان متناقضتان نحو هذا الشيخ — رائدي — فأنا أطمئن إليه لأنه يكشف أمامي الطريق ، وينير لي متاهات القاهرة ومضلاتها ، وغداً يفتح أمامي باب الأزهر فأدخله لأول مرة وعلى شفتي ابتسامة وعلى هامتي كبرياء ، أدخله طفلا يستشعر الرجولة المبكرة والشباب المتوثب والرزانة المتكلفة ، وغداً يريني شيخي وهو في رأي عيني لا يبذل بشيء سوى لحيته البيضاء المرسلة التي تبعث في من حواليه المهابة والاحترام والخوف ، وأنا

— إلى ذلك — أمقته لأنني أحس فيه معنى من معاني جهلي ، وعلامة من علامات ضعفي ، فأنا لا أستطيع أن أتبين طريقي إلا حين يسير إلى جانبي . وأنا أحتقر عقله ، فكيف يبلغ هذه السن وهو ما يزال طالباً لم يظفر بالشهادة ولا بلغ مبلغ العلماء ! وأكره رجولته وهي قد تضاءلت في ناظري حين دخلت الحجرة التي يسكن فوجدتها على تفاهتها وقذارتها تضطرب في غير نظام ، وتموج بدويبات الأرض . وأبغضه حين يتكلف العطف ويتصنع الحنان ، وهو لا يحس شيئاً من هذه العاطفة ، فهو رجل قفر ممحل ، عزب لم يشهد معنى الأبوة ، ولا ذاق لمة الإثم !

وأراد والدي أن يقربني بأن أتخذ من حجرته مسكناً فأبيت ، وكيف أفعل وأنا قد رأيت « السام الأبرص » يدرج على جدرانها فسرت الرعدة في مفاصلي ، وإني لأخاف هذه الحشرة وأبغضها وأتفزع لرؤيتها . هذه الحجرة قد بعثت في الانقباض والضيق ، واستشعرت لدى بابها أن خواطري الجميلة قد انهارت كلها ، خواطري التي حاكها خيالي منذ أن غادرت القرية ، ومنذ أن هبطت القاهرة لأرى الحياة والحركة والنور . أين النور المتدفق وهو ينشر الشوارع والمنعطفات ويسيل من النافذ والأبواب ؟ أين ضجة الحياة وهي تصاعد صيحات تهتز لها أرجاء السماء ؟ أين النشاط والحركة ؟ أين المرح والسعادة ؟ لقد توارى كل أولئك خلف جدران هذه الحجرة . يا عجبا ! كيف يعيش الظلام إلى جانب النور ، ويطمئن الهدوء إلى جانب الضجة ، ويحيا الصمت إلى جانب الضجيج ، وتستقر الذلة إلى جانب الكبرياء ، ويهدأ الصغار إلى جانب السمو ، ويلتصق الشقاء إلى جانب السعادة ؟ وسيطرت على الدهشة فسلبتني من خواطري اللذيذة ، وتبين لي — لأول مرة — كيف يجتمع النقيضان في صعيد واحد !

وأصر والدي وأصررت أنا ، فما استطاع أن يثنيني عن عزمي ، ولا رضي بأن أبيت في المنزل ، وإن المنزل ليستنفد من مالنا في ليلة واحدة ما يكفينا أياماً ، وهو حريص على المال شحيح به ، ضنين علي أنا وهو مال أبي . ثم استمر النقاش بيني وبينه ، فقلت : « أبيت في حجرة الشيخ علي » ، ووافق هذا الرأي هوى في نفس والدي ، ولكن غاظه أن أفضل تلك على هذه ! والشيخ علي فتى من طلاب الأزهر قرى ، نحيف ضعيف يكاد يتهاوى من هزال ، ويوشك أن ينقض من وهن ، يخيل إلى من يراه — بادي الرأي — أنه بقية من إنسان أو أنه نفاية رجل . وإنه ليحس مكانه من الناس وقد تخلف عنهم ، فهو ما يبرح يتهادى في مشيته ، ويتأنق في حديثه ، ويشمخ بأنفه ، ويتطاول على رفاقه ، ولكنه لا يبلغ أن يكون رجلا !

وهو يعيش بين خمسة من ذوي قرابته في حجرة واحدة ، وهو رئيسهم ، لأنه بكبرهم سناً في السن ، ولأنه أعرفهم بالقاهرة ، ولأنه ألصقهم بالأساتذة ، يتقاسمون أجر المسكن على سواء ، يتعاونون على نفقات العيش ، ويتآزرون على حوادث الحياة ، يتكافئون على قسوة الغربة ، ويتظاهرون على مشقة الدرس

ودخلت حجرة الشيخ علي مثلما دخلت حجرة الشيخ فهمي من قبل ، فهما على نمط واحد ، لا تبد واحدة واحدة . ولكن نفسي اطمأنت إلى هذه حين لست فيها الإيناس بقدر ما نفرت عن تلك حين وجدت فيها الوحشة . أنست إلى هذه لأنني ألفيت هنا الصاحب والرفيق ، ولأنني وجدت مهرباً من الشيخ فهمي ، فما لي به حاجة من بعد ، وهو رجل ضيق العقل ، راكد الذهن ، شحيح النفس ، جامد الكف ؛ وهؤلاء رفاقي : نغدو معاً إلى الأزهر ، ونروح سوياً إلى الدار . وهدأت هواجسي ، فأنا الآن أستطيع أن أعبث مع صحابي كيف أشاء ، وأستطيع أن أمكر بالشيخ علي حين تسول لي شيطانيتي أن أفعل ، وهو الآن ولي أمري وقائدي !

وصرفني روح المرح واللعب والعبث — بادي ذي بدء — عن أن ألمس ما أعاني من شظف وشدة ، وعن أن أحس ما أقاسي من حرمان وضيق . والشيخ علي ممسك لئيم مخادع ، يراوغ الواحد منا عن قروشه ، ويداوره عن مصروفه ، وهو فظ لا يستشعر قلبه الحنان ولا الرحمة ، ولا يبض كفه بدرهم أتنسم به روح الحياة الناعمة في القاهرة ، فمكثت زماناً لا أتذوق إلا الخبز والجبن والمالح ، ثم جف حلقي وما لي طاقة بذلك !

وضاقت نفسي بما أجد فانطلقت إلى الشيخ في ثورة جامحة أسأله حقي ، فرتب لي مليما كل يوم لأشتري به متعة الحياة ولذة العيش !

وادخرت — بعد أيام — مليمات ، وإن نفسي لتهفو نحو

في ذكرى أديب العربية :

# يرحمك الله أبا عبيدة !

للأستاذ محمد سليم الرشدان

يا لله ما أعجب ! هذا هو الدهر تنقضي أيامه وتنطوي لياليه ، فيجتاز بذلك حولاً من العمر ، يطل من ورائه أبو عبيدة ، أديب العربية الأكبر ، العلامة الجليل محمد أسعاف النشاشيبي . فإذا هو ذكرى في ثنايا التاريخ ، وإذا هو حنين تفيض به القلوب ، ثم إذا هو طيف تجتليه الخواطر ، وتفتقده النواظر .

ويح هذه الآمال الوديدة ، لطالما زينت له مخوف السيل ، وهونت عليه وعر المسالك . فمير كؤودها ، واعر وري متونها ، ومضى قدُماً لا تقعده الخاطر ، ولا تكبح جماحه الأرزاء . فكانما أدوك غاية ، برزت له من ورائها غايات .

بل ويح هذا الطموح ما زال به يستحث خطوه الجامح ، فهو لا يستقر إلى مآل ، وهو ما يفتأ يشد الرحال ولكنه أخيراً مضى بعد أن خاض شتى المجاهل في دنيا ( العربية ) ، وتجاوز في ارتيادها بعيد الآفاق . فلم تفته منها صغيرة ، ولم تقف بين يديه كبيرة . فقد ألم بهذه وسبر أغوار تلك ، وأحاط من ذلك كله بما لم يحط به إلا قليل ، فكان شأنه في هذا السبيل ، شأن المجاهد المستبسل ، لا تقعده جراحات الندر ، ولا ترده أطايل العدو الخاتل . فخاض غمرة الكفاح ، ولا أيد ولا وَزَر ، إلا ما اشتمل عليه من مضاء العزيمة ، فأدرك النصر الباهر في كل ميدان ، ومضى في قافلة العمر تزامله العزة والأنفة والاباء ، لا يضير هذه القافلة أن تعترض سبيلها ( الثعالب ) حيناً ، ثم لا تلبث أن تحول أو تزول .

أرأيت — يا أخي القارئ — ركاباً يتضرم أواراً ، ويتسعر لهيباً ، ويثقل في جوفه شواظ ورجم ، فهو إذا ما فار ومار زفر زفرة أسكت بها من حوله كل باغم ؟ كذلك عهدت النشاشيبي المتقد حيال أعداء العربية ، وأجراء ذوي الأغراض . ومالك لا تستيقن ذلك حين تسمعه يردد ساخطاً :

« وأن نجم ذئب فصاح . ( إن لكل عصر لغة ، وإن لطبيعة العصر سلطاناً على القول ، فكيف تنادينا إلى لغة يقول العصر — إن استمعها — ليست هذه بلغتي ! فنحن نشتاً ما تنادينا إليه ، ولا نحب أن نقتل أنفسنا متكبين على القول القديم العتيق ، الذي شرب الدهر عليه وأكل ، ولا نهوى إلا لغتنا العصرية السهلة الواضحة ، التي يفهمها كل إنسان حتى راعي البقر ... ) أن نجم لنا مثل ذلك الذئب وعوى عواءه ،

---

الفاكهة وقد حرمتها منذ زمان وأنا أرى دكان الفاكهي في غدوي ورواحي فيجذبني إليه في شدة وعنف ولكني لا أجد الجرأة على أن أقف ببابه أساومه . ثم دفعني شيطاني إليه — بعد حين — فاشتريت ربع أقة عنب دفعت ثمنها ستة مليمات . ولكن حرارة القيظ تركت العنب يتلهب كأنما أوقد عليه بنار جهنم ، ثم دفعني شيطاني مرة أخرى فاشتريت ثلجاً بمليم واحد . وهكذا أنفقت في واحدة كل ما أملك : سبعة مليمات ادخرتها في أيام وأيام .

وتسللت إلى حجرتنا في حذر وأنا أوقن بأنها خاوية ، وأن أصحابي جميعاً في الأزهر ولن يحضروا إلا بعد ساعة ؛ ودلفت إليها على مهل ، ثم وضعت أمامي العنب وسويت عليه الثلج ، وطفقت أنظر إليه في شوق وأتأمله في شغف ، وأتناول الحبة إثر الحبة ، أتذوقها في لذة وسعادة وطمأنينة .

وعلى حين فجأة انفتح الباب ودخل الشيخ عليّ ، واعتراني الارتباك والخجل ، ونظر هو إلى الطبق أمامي وقد ملأته الدهشة وسيطر على العجب واندفع يلومني : « عنب وثلج ! عنب وثلج ! هذه هي متعة الحياة ولذتها ! » ثم انصرف وعلى وجهه سمات الغيظ والحرمان في وقت معاً .

وعجبت أنا لحديث الشيخ ، ثم انطويت على نفسي أحدثها : « ما أتفه متع الحياة ولذائذها إن كانت تشترى بسبعة مليمات ! »

ثم انطوت الأيام لتطلعني أن متع الحياة ولذائذها غالية غالية تكلف المرء الدم والعمر والمال جميعاً ...

فاضل محمود حبيب

القمناء حجراً وحجرين ، وعصوناه ثم قلنا له : أجل أيها المدجل المحاوت إن لكل دهر لغة ، وإن لطبيعة العصر سلطاناً ... غير أن ( لغتك العصرية ) هذه لغة ممقتة ، فنحن ندعوك إلى مداواتها وتقويمها بتلاوة القول القديم ، لكيلا تُسَلّ أو يدود لحمها ثم تموت ... » .

بمثل هذا القول كان يصمت أولئك الذين طالما دعوا — من حوله — إلى نبذ لغة ( القرآن ) ، والاستعاضة عنها بطلاقة غوغاء السوقة ، وترك ما أعيى أئمة العربية شباة أقلامهم وشباب أعمارهم ، بجمعه واستنباطه من قواعدها وأصولها ، واستيداله بما خيلته طبيعتهم الأعجمية ، من كلام مهمل سقيم ... يا للكفر الصراح ، ويا للعقوق الآثم ! لم لا يعد هذه ( الثلة كالثلة [1] ) ؟ ولم لا يعد من كان في مثل هؤلاء ( ذنباً أفاكاً ) ! بل هل عصيتك — لو كنت حيث كان — إلا ممتعضاً بمثل قوله :

« كلا ! إن هذا الزنيم قد جهل وجار عن الحق ، واحتقد على لغة العرب فكدح في محقها ( يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ... ) » . لكأني بك تقول ذلك ( أو من مثله ) ما دمت تغضب لهذا الإرث الجليل الخالد ، الذي لو كان حصاد عام ، بل لو كان حصاد جيل لتأسى فاقده . ولكنه — يا فتى — حصاد المئين من السنين ! فأنى لك العزاء ( آنذاك ) ! والخطب — لو حصل — جليل ، والمصاب — لا كان — مفزع مهول ! فما لأبي عبيدة لا يفزع ؟ بل ماله لا يستنفر الإنس والجن والسموات والأرض والجبال . فيخرج من ( صومعته ) هائجاً ، وهو يردد متسائلا :

« وكيف يسول الخبث والعجز والجهل واللؤم الضريبة ، كيف يسول كل ذلك للفتى أن يأتي بالكفر براحاً وبالشر صراحاً ، ولا يحسب للكفرة بالحقيقة حساباً ، ولا يخشى لشرارته عذاباً ، ولا يخاف عقباها ؟ وكيف يهون له اجتقاب كل موبقة . أن يؤتى إلى اللغة العربية ... فيجز شعرها ، ويخدش ذلك الخد الأسيل ... ويخمش ذلك الوجه الجميل ويفحم ! وتصبح ( ابنة عوف ) مضرب المثل في القبح ، وهي المثل المضروب في الحسن والجمال ! ... » .

أرأيت كيف كان أبو عبيدة ( طيب الله ثراه ) يغضب للعربية وأهلها ، فلا تأخذه في سبيلها لومة لائم ، ولا يبالي أن يخاصم القريب والبعيد مادام قد انحرف عن الجادة ، وجانب الصراط السوي . وإذا كان المرء يناضل في ميدان واحد لا يعدوه ، فقد كان هو يناضل ( في آن واحد ) في ميادين شتى . ومن ذلك أن يتصدى ( موجهاً أو مجيباً أو معترضاً أو متحدياً ) في أقطار مختلفة ، وفي صحف متعددة ، وقد تتكرر خلال ذلك في أرجاء ، وادرع لكل ميدان بلبوس . فهو « أزهري المنصورة » حيناً ، وهو « السهمي » حيناً آخر . ثم هو إن بالغ في التواضع ( والتواضع خلة لا تعدوه ) أرسل ما يكتبه غفلاً من أية سمة ، فيشاركه صاحب المجلة تكتمه ، معرفاً كلامه الذي يتم عليه بقوله : « لأستاذ جليل » أو بما هو من على شاكلة هذا التعريف . ثم هو جريء لا يهاب . إذا تعرض لأمر تخشى عواقبه ، نحى حجاز التواضع جانباً ، وتبدى للخصوم باسمه وكنيته ، شأن البطل المقدام لا يبالي أن يعرفه الخصم استهانة بخطره ، وغلواً في الحفاظ والنجدة . فليرحمك الله أبا عبيدة ، لقد كنت أمة في رجل ، وكنت رجلاً ( نسيج وحده ) .

ليتك تعلم — يا قارئي الكريم — مبلغ اعتزاز ذلك الأديب الفذ بكتاب الله ! الطالما أجابني على كثير مما كنت أسأله عنه بآيات بينات منه . وهو يردد مفتخراً : « أرأيت أي كنز يحوي بين دفتيه هذا الكتاب ؟ أو رأيت شبيها له فيما عبر بك من لغات ( آشور وسريان وعبران ) ؟ هيهات ! ولئن تحريت فما أنت بواجد ! ( لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ) . »

كان رحمه الله كثيراً ما ينظر إلى هذا الكتاب العظيم نظرة الشغف المحب ولسان حاله يستعيد قوله فيه : « يا أيها الكتاب المعجز ، لقد هلك من يدرك فصاحتك ، ويكتنه بلاغتك ، ويقدرك قدرك ، ويعطيك من خدمتك حقك . لقد هلك من كنت تتلو عليهم آياتك فيدهشون ، ويخرون سجداً وبكياً . وهل يعرف بلاغتك المعرفة البليغة ، إلا عربي قح صليب ، لم تشن ملكته العربية من العجمة شائبة ، ولم تؤذ أذنه كلمة قلقة واهنة ! ! فسقياً لمثل هذا سقياً ، ونعماً ونكساً وتربا وجندلاً

(١) الثلة الأولى : الجماعة من الناس . والثلة ( الثانية ) القطيع من الغنم . وهذا من كلام القشاشيبي .

لن يبقى أن نصل ، فستحب اللغة المرذولة ، على لغتك البارعة العذبة الضربة ... » .

ولن أنسى يوماً قدمت فيه إليه ، فأقبل على يحدثني بقلبه ولسانه عن دنيا العروبة والإسلام . وينطلق شأن المؤمن الفضائل ، يؤكد لي اندحار هذه العجمة في يوم ( قرب ابانه ) ، وانطلاق لغة الضاد من عقالها لتنهض بإعباء الإنسانية ، وتؤدي رسالة الحضارة . وما فتئ يكرر بين حين وحين : ( ولم لا يكون ذلك واللغة هي اللغة ، والآباء هم الآباء ، والابن مهما كان جاحداً عقوقاً فلا بد أن تجذبه أصالة المجد وكرم النجار ... ) وبحين موعد انصراف فاستشيره في فقرات من قوله أعرضها غطاً من أسلوبه وأنا أتحدث عنه في طليعة الأدباء أثناء يحيى عن ( الأدب في فلسطين ) في المجلة المحببة إلى قلبه ( الرسالة الزاهرة ) ، فلا يكون منه إلا أن يتناول كتاباً يضع سبابته على سطر فيه وهو يقول : ( أكتب من هنا ، ولن تنطفئ بقول تنتزعه من سوداء نفسي ، وتستخلصه من قرارة يقيني إلا أن يكون هذا !! ) . ثم أجدني أقرأ ( هناك ) كلاماً لا يختلف عما كنت أسمعه منذ هنيهة إلا بالفاظه ، وجعلت أعجب حين رأيتني حيال كلام قاله عام ( ١٩٢٧ ) جاء فيه :

« اللغة هي الأمة ، والأمة هي اللغة . وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى ... واللغة ميراث أورثه الآباء والأبناء ، وأحزم الوارث صائن ما ورث ، وأسفههم في الدنيا مضيع . وإنا أمم اللسان الغادي لعرب ، وإن لغتنا هي العربية ، وهي الأرث الذي ورثناه . وإنا لحقيقون — والآباء هم الآباء ، واللغة هي اللغة — بأن نفي عربية الجنس ، وعربية اللغة.

ولو كان الموروث صغاراً ، ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه ، فكيف والتاريخ يقول : إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً ... والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداي . ( وأن الدهر لصنع ) ، وأنها لخير طرفة أطرفتها الناس ، والزمان بالخير وإن جاد شحيح . فالعربية الصنع الصبور للدهر ، والعربية الدرة اليتيمة ، أو كنز الزمان ، ضن به ثم سخا ... » .

يا أختي القارئة : هذه عبرة فاطقة ، أذرفها بين يديك وذكرى هذا النابغة العبقري فإن أنت عرفته من آثاره ولم تره ، فليس الخبر كالخبر ! وإن كان خبره جديداً عليك ( وما أخاله يكون ) ، فاعلم أننا في فقده حيال مجاهد كان سيفه القلم ، وميدانه القراطيس ، وجلاده عتيد قاصم ، لا هوادة فيه مع أخصامه ، ( وأخصامه أخصام العربية ) :

ولطالما حاز النصر باهراً ، والظفر مؤزراً . فرفع من شأن هذه اللغة الكريمة ، ما أعلى منارها وسهل من عسيرها حتى حببها إلى شغاف القلوب . وفي سبيلها لم يجاوز ميداناً إلا سال فيه ولا خصماً إلا ثبت في وجهه ثبات ( أحد ) و ( أبي قبيس )

وأخيراً ، أنحته جراحات الدهر ، فسكن الفؤاد النابض بحب العربية وأهلها ، وصمت اللسان الذليق ، وما كان ليصمت لولا أن أصمته الدهر ...

في رحمة الله أبا عبيدة .

محمد سليم الرشدان

ماجستير في الآداب واللغات السامية

صدر حديثاً :

خمر وخمر

للشاعر الناقد الأستاذ عدنان أسعد

يطلب من دار المعارف ومن جميع المكتبات الشهيرة

بمصر والبلاد العربية

وثمنه ٢٥ قرشاً

شعراء معاصرون :

# العاطفة الدينية في شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومي

( بقية ما نشر في العدد ٨١٨ )

— ٣ —

أما شعر محرم الاجتماعي فقد كان مضمخاً بعبير عاطر من التوجيه الديني والإرشاد الخلقي ، فقد نظر الشاعر نظرات صائبة إلى الأوبئة الخلقية التي تفتك بالأمم الشرقية فتحصد المروءة ، وتطيح بالشرف ، حيث انسابت الأغاني البشرية في ظلام الاحتلال تنفث سمومها في الأجسام الصحيحة ، فإذا الإنسان الطاهر العف يتحول ماردا فاجراً يعب الخمر في نهم ، ويريق الدم المصون في تهتك ، ويلطخ وجهه بآثام فاحشة يندى لها الجبين ، وقد قام محرم بدور الطبيب الحكيم ، فتفحص الداء فحصاً دقيقاً ثم أخذ يشخص الدواء الناجع ، وكان القرآن الكريم قبلته ووجهته ، فنادى بالرجوع إلى آدابه ، وشهر بمن يجترحون السيئات ويقترفون الفواحش ، وقد اتخذ من الجرائم الخلقية التي يرتكبها الإباحيون ، وتنشرها الجرائد اليومية مادة دسمة لإنتاجه . وفي الجزء الأول من ديوانه أقاصيص شعرية تجلي هذه الفضائح ، وقد أحاطها الشاعر بسياج من النصح الأدبي ، والتوجيه الخلقي . وأنك لتلمس لهفة محرم وأسفه حين يتحدث عن شرذمة غاوية ائتلفت على البغي فهوت إلى حمأة الرذيلة تلغ في أرجاسها الشائنة غافلة عن عتاب الله نابذة وراءها عهود محمد وزواجر التنزيل فهو يقول :

أسيت لمسرفين أمان كلاً ... على إدمان لذته أبوه
إذا ما ماتر الفحشاء منهم ... أخو الشهوات غناه أخوه
لهم فتكات أطلس ما يوارى ... دم الهـــلاك غلبه وفوه
عليهم من خزايام سمات ... وما أنفوا العجار فيجحدوه
إذا ما من في الظلماء صيد ... تداعوا حوله فتصـــيدوه
ترمى بينهم فتســـاوروه ... إلى أن قال قائلهم دعوه
فقا النهار وادلجوا إليـــه ... وأكبر همهم أن يبلغوه
أيامرهم بتقوى الله قوم ... وما عرفوا الآله فيتقوه
شباب العار ما تركوا وجاء ... لنا في مصر إلا حيبوه
أناس ربيت النبراء منهم ... وضج العرش مما أحدثوه
أتى التنزيل بالمثلات تترى ... وبالحق المبين فكذبوه
فوا أسفى لعهد الله فيهم ... وعهد محمد إذ ضيعوه !!

وفي ديوان الشاعر من هذا الطراز جذوات مشبوبة تتقد باللوعة فليتها وجدت من يسمع أو يجيب !!

ومع أن محرما قد نادى في سيحاته الاجتماعية بضرورة التعليم كدعامة راسخة يرتكز عليها بناء النهضة ، فقد وجد من الناس من ظن به رغبة عن تعليم الفتاة والنهوض بها إلى ذروة الرقي ، وغم ما استدلا به ديوانه — في الجزء الثاني خاصة — من حث على ثقافة المرأة وإيضاح لمركزها الدقيق الذي تحتله في المجتمع . ولعل هذا الظن الخاطئ قد أتى من مهاجمة الشاعر لدعوة التحرير التي رفع لواءها قاسم أمين ، ونحن إذا نظرنا لهذه الدعوة نجد صاحبها يحث على تعليم المرأة وتهذيبها عن طريق السفور والتعلل من الحجاب ! والشاعر وإن كان من المنادين بضرورة تثقيف الفتاة لا يوافق على السفور مها تكاثرت المبررات ، فاندفع إلى مهاجمة قاسم متأثراً بعاطفته الدينية التي تحرم التبرج تحريماً قاطعاً ؛ وما كان له أن يحيد عن ذلك وهو يضع كتاب الله نصب عينه . ولعله كان ينظر من وراء الغيب إلى ما سيجره السفور من فتن فشدد عليه النكير . فحرم إذن يكتفي بضرورة تعليم الفتاة دون ما عداه ، فليس لها أن ترتع في الأسواق ، وتزاحم الرجال فيما لم تهيأ له من الأعمال ، واستمع حجته في ذلك إذ يقول :

هممنا بربات الحجال نريدها ... أقاطيع ترعى العيش وهي سوائم
وإن امرأ يلقى بليل تعاجه ... إلى حيث تستن الذئاب لظالم
وكل حياة تتم العرض سبة ... ولا كحياة جلفتها المآثم
أتاتى الثنايا الغر والطرف الملا ... بما عجزت عنه اللحى والعمائم
فلا ارتفعت سفن الجواء بصاعد ... إذا حلقت فوق النسور الحوائم

سلام على الأخلاق في الشرق كله ... إذا ما استبيحت في الخدور الكرائم

أقاسم لا تقذف بنفسك تبتغي ... لقومك والإسلام ما الله عالم
ولولا اللواتي أنت تبكي مصابها ... لما قام للأخلاق في مصر قائم
نبذت إلينا بالكتاب كأنما ... سحائبه مما حملن سلاحم
أحاطت بنا الأسد المغيرة جهرة ... ودبت إلينا في الظلام الأراقم
ألا إن بالإسلام داء مخامرا ... وإن كتاب الله للداء حاسم

ولنقرن هذه الصيحة الناقة على دعاة السفور بأحدى صيحات محرم في ضرورة تعليم الفتاة ، لنعلم أن الشاعر لم يحارب تعليم المرأة في يوم من الأيام ، وإنما احتاط لدينه وصرونه ، وتمسك بكتاب ربه وهدى نبيه . وحسب الإسلام منه أن يذود عن مبادئه في قوة ، ويتمسك بحدوده في إيمان ، قال محرم :

ما أبعد الخير والمعروف عن أمم ... تعيش فوضى وترضى بالحياة سدى
وجاهل ظن أن العلم مفسدة ... للبنت فانتقص التعليم وانتقدا
مهلا فرب فتاة أهلكت أسرا ... بجهلها وعجوز أفسدت بلدا
الأم للشعب إما رحمة وهدى ... أو نكبة ما لها من دافع أبدا
لا يذهب الشعب في أخلاقه سببا ... والأم تذهب في أخلاقه سددا
لا تيأسوا وأعدوا الأم صالحة ... فهي السبيل إلى إصلاح ما فسدا

على أن الشاعر لم يهاجم قائما وحده ، بل كان يهاجم من المسلمين من يرى منه تزوعا عن الشريعة ، وكان يتأدب في هجومه بتوجيه الإسلام ، ويسترشد بتعاليمه ، فلا يميل إلى الإسفاف والمهاترة ، أو يعمد إلى التشهير والتنديد ، بل إن قصائده في أعداء الإسلام « كهانوتو وكروص » كانت تخضع إلى المنطق المعتدل وتتحاشى ما ينفر منه الأدب والذوق . ولله محرم ، فطالما جادل بالتي هي أحسن ، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع أن الشعراء يبيحون لأنفسهم من الإقذاع في الهجو ما يأبى عنه ذو الخلق الكامل والنبل الأصيل !!

— ٤ —

بقي أن نتحدث عن الناحية التاريخية في شعر محرم ، وهي ناحية هامة شغلت جانبا كبيرا من اهتمامه ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من إشارة إلى موقف تاريخي طواه الزمن ، فخلده الشاعر ، ولا جرم فقد كانت ثقافته تاريخية إسلامية ، حيث استوعب ما قدر عليه من الصحائف المجيدة التي تجلو عظمة الفتح الإسلامي ويتحدث عن أبطاله المسلمين ، فكان له من هذا الاستيعاب مادة دسمة أكسبت انتاجه قوة ذاخرة ، وأمدت شعره بأسباب متينة من الروعة والتفوق !! وإذا كان الشاعر قوي الإيمان بعظمة القادة البارزين من أعلام الإسلام ، فقد فتحت له عاطفته الدينية أبواب القول فصال وجال في ميدان التاريخ حتى ينفرد وحده بين شعراء العربية بتصوير البطولة الإسلامية تصويراً لا يتعلق بغباره متعلق ، مهما حاول التقليد .

لقد نظر محرم إلى أعظم أبطال الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فبهرته عظمته الفائقة ، وأخذته روعته الخارقة ، فنظم إلياذة كبيرة تقع في عدة آلاف من الأبيات المختارة المنتقاة ، يسجل بها تاريخ الرسول الأعظم من ميلاده إلى أن جاءه اليقين . وقد قرأت ما وقع لي من شعر الإلياذة فتكدت أستظهره في نهم ، وتأكدت أن بلاغة محمد قد تضحت عليه من بيانها الرائع ، فتطامن له الندى الجوح ، ووقفت يده على النادر اليتيم من الأساليب ، وقد راعني أحد منازع حديثه ، فهو في بدر وأحد يجلجل ويهدر حتى ليسمك الصليل والصهيل ، وقد يعمد إلى الغانية الشموس في موقفه الحامي ، فيخضعها لبيانه المشرق . وللقارىء أن يطالع قصيدته الغائية في فتح مكة فهي وحدها الحجة والدليل .

وكنت أقع في دهشة عجيبة حين أجد الشاعر يتكلم في الموضوع الواحد مرات متعددة ، وهو في كل فريدة من قرائده يطالعك بمعان لم يجش بها خاطره قبل ذلك ، وقد فرض على نفسه أن يحيي رسول الله في كل عام بقصيدتين في مناسبتي الهجرة الشريفة والمولد السعيد . أضف إلى ذلك ما يعرض من المواسم الأخرى كذكرى غزوة بدر ، وذكرى الفتح ! ثم هو بعد هذا كله يشعر بأنه لم يقل شيئاً يجانب ما يليق بعظمة محمد فيقول في مخاطبته :

ما في النوابغ من لبيب حاذق ... إلا وأنت ألب منه وأحذق
والقول مستلب المحاسن عاطل ... حتى يقول المبقري المفلق
أنت المجال الرحب تقصر القوى ... فيه وتمتحن الجياد السبق
حسان منبر وكعب عاجز ... والنابغ الجعدي عان موثق
أطعمتهم فتجاوزوا فيك الذي ... وأبيت فانصرفوا وكل مخفق
لن عذرهم ما أنت من عدة المنى ... إلا وراء مخيلة ما تصدق

والحق أنه — رحمه الله — كان يجد في الذكريات الدينية ظلاً وارفاً يتفيأه في هجير الحياة ، فهي تتيح له الموازنة بين الحاضر والماضي مما تكلمنا عنه قبل ذلك ، كما تمكنه من إسداء النصائح الصادقة لأبناء الدعوة المحمدية في مختلف البقاع

# إلى الخير...

للأستاذ ثروت أباظه

... نعم يا سيدى، لقد رأيتنى أهيم فى الحوالك من الظلمات، شارداً أضرب فى الحياة وتضرب بى ولا نصير... أقطع الطريق أو أقف دونه لا يشجعنى على السير صديق أو يحثنى دون الوقوف رفيق، وأنا مع الحياة لا أبالى أين يلقى بى موجها، فكل أفق لى قبلة، فليس لى فى أى أفق من الآفاق أمل مرتقب، وحول الناس كلهم لا يد عن غيره إلى نفسه، فاهوت عنهم؛ ولم يكن لى نفس لأثوب إليها أو أطمح بها، فكنت أترقب إلى السماء صرات خفيا بين الصباحين فأساله فى عليائه أن يضع بينى وبين أحد عباده على الأرض طريقاً... فإذا طال بى السؤال دون الإجابة ابتهلت إليه أن يضعنى إلى ممائه أرى الرحمة الكبرى من ورائها تاف التقى فى سيبها والماضيا.

ولم يكن بى عصيان لأوامره، غير أنى أحسست على الناس النقمة، وكرهت أن أرى السعيد منهم، فانصرفت إلى دار الكتب حيث يباح التثقيف بغير أجر، فظلت أقرأ وأقرأ، وكنت كلما ازددت قراءة قلت فى نفسى: لو لم تكن هذه الكتب من عمل الإنسان لكانت أعظم مما هى عليه... وكنت أعجب كيف يستطيع الإنسان الكنود أن يخرج مثل هذا الصفاء... كتاب لا يملك، فإذا ملكته أنت لم يغضب، بل يقيم أينما تضعه منتظراً منك العودة؛ فإذا عدت لاقاك مفتوح الصدر، صريح العبارة، لا يخفى عنك شيئاً؛ وإذا قصر يوما عن إبلاغك مرادك اعتذر إليك وقدم زميلا له يشرح ما غمض فيه.. هكذا يا سيدى عرفت صديقاً على الأرض، وهكذا كنت أفكر فى شأنه، فما خانى ولا خنته، بل زادنى تجربة وعلما... وهكذا يا سيدى خلت أن الله قد أجاب به الدعاء وحقق لى الأمل فرحت أكتب إلى الجرائد أستعين بما ترسله من مال زهيد على ما كل يأتى الوصول إلىّ، أو مسكن يتفر — على رثاثته — أن يضمنى بين حشراته. أما الناس يا سيدى فقد يئست من وجودهم منذ أزمان بعيدة.

---

وتلك رسالة الشاعر العامل، إذ يحمل بيده المشعل المضىء فينير السبيل.

وكنت أود أن أتكلم عن الإلياذة كوحدة مستقلة فأعرض لها ببعض التحليل والتشريح، ولكن القدر قد كتب لها أن تظل فى مهملات وزارة المعارف مجفوة منسية فى عصر مجحف ظالم رسبت الدرر الغالية فى قاعة، وطفت الجيف النتنة فوق سطحه، فطبعت دواوين المتشاعرين من المتافين والمسقفين، وأهملت ملاحم النوابغ الملهمين. ولولا ما قرأته فى المجلات الأدبية والعلمية كالرسالة والثقافة والأزهر من قصائد متناثرة تنتمى إلى إلياذة محرم لظننتها خرافة مختلق مريب!!.

وإذا تعدينا تاريخ محمد إلى غيره من المرسلين فإننا نجد محرماً قد اندفع أيضاً وراء عاطفته الدينية فنظم فى قصص الأنبياء معلقة طويلة ألقاها فى موسم الشعر وقد ابتدأها بقصة آدم وحواء، وخروجهما من الجنة، ثم داف إلى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن فروى قصصهم الماضية سيبنا جهود كل نبى فى دعوته، وما قابله به قومه من العناد والاستخفاف، ثم ما كان فى النهاية من ظهور الحق وخذلان الباطل، وإن كان هناك فرق شاسع بين حديث الشاعر عن الأنبياء فى ملحمته الجيدة، وحديثه عن محمد فى إلياذته الماصرة، حيث كان فى الأولى مؤرخا يسجل الحوادث كما حكاها القرآن، وتناقلها الرواة والقصون دون أن تقوم شاعريته بتوليد بارع أو ابتكار رائع؛ ولكنه فى الإلياذة قد جمع بين التاريخ والفن، فهو يبدع فى الفكرة والعرض معا كما يرسم صورة للزمان والمكان. وقد يهتم بالجزئيات الصغيرة فيصوغها فى لباقة تحمد للتأثر الرسل فما ظنك بالمقيد بقافية ووزن!! ذلك توفيق كبير.

رحم الله محرما فقد أسدى إلى المروبة والإسلام يداً بيضاء لم يسلفها شاعر عربى قبله، ومع ذلك فقد عاش حياته الطويلة فى دمنهور كادحاً متعباً لا يجد الناشر الذى يظهر له ديوانه الرائع فى ثوب لائق يحرك الرموق، ثم وافاه الأجل المحتوم فسكت الأدباء عنه فى قسوة، غافلين عن أدبه الحى وفنه الرفيع، وكأنى به فى حنادس القبر يردد متأوهاً ناعماً بيته الحزين.

ظمئت وفى فى الأدب الصفى ... وضمت وفى يدى الكنز الثمين

( جزيرة الروضة ) محمد رجب البيومى

ولم يكن اليأس مريحاً — كما يقولون — فقد ضحيت به برغم صداقة صاحبي، الكتاب .. كذلك ياسيدي كنت حين شاء لك ذوقك الأدبي الرفيع أن تختارني لأعمل لديك على سبيل الدوام فقصدت إليك يائساً من الصداقة والشهرة، آملا في الكسب، ولافيتني يا سيدي فأحببت في خلقاً وسلوكاً، وأحببت فيك كل ما فيك، ولم أجرؤ أن أبين عن هذا الحب خشية أن يتمادى بي ثم تنقطع بيننا الأسباب... خشيت على نفسي ياسيدي، ولكن خلقا فيك كريما أبى إلا أن يشجعني فأحببتك وأحببت الناس فيك ولك .. ووجدت نفسي قد خلقت خلقاً آخر، فلا حقد ولا يأس ولا قنوط؛ ومازلت بي ياسيدي تمد لي من عطفك فأمد لك من حبي حتى وجدتني أقول لك من غير وداع « إنه لرجاء يوم أغير قطعني عنك فإني والله لن تقوم لي قائمة بعده » ... ولست أنساك يومئذ يا سيدي وأنت تضحك لي في حب كبير ... « إنها أوهام » طالما يتخيل الإنسان أموراً ثم يجسمها فلا تلبث أن يذيبها مرور الأيام » وقلت لك يا سيدي : « إنه لن يكون هناك أيام لتذيبها فسوف أذوب أنا قبل أن تمر هاته الأيام » هكذا يا سيدي بلغ بي الحب فعشت أرصد حياتي لك ولخدمتك حتى نلت لديك ما نلت. وكنت أنت حياتي بعد أن تقطعت بي أسباب الحياة.

وهأنت ذا يا سيدي اليوم تقصيني عن موارد حبك فأخرج إلى الكتاب مرة أخرى وألاقيه فيلاقيني مفتوح الذراعين حانيا، وكنت اقسمت يا سيدي وأنا أعمل بجريدتك ألا أكتب في غيرها أبداً؛ ومازلت يا سيدي باراً بهذا القسم؛ بيد أنني تذكرت اليوم فقط أمراً لم يخطر لي ببال، تذكرت ياسيدي أنك مرهف الحس، دقيق الشعور، وخشيت ياسيدي إذا أنا حطمت حياتي أن تشعر بما جنيته علي، ولا أريدك ياسيدي أن ترجع إلي وأنا حطام لتعينني على حياة أكرهها مادمت أنت بعيداً عنها. فقلت في نفسي: لأعمل حتى لايشعر بما جناه، وحتى يطمئن إلى أنني مازلت أقاوم الحياة. وإني يا سيدي حتى اليوم كلما سألني سائل عن سبب القطيعة خلقت في نفسي عيوبا لا أظنها تجرؤ أن تنتسب إلي وأنا من أحببته أنت حينا من الدهر، ولكني كنت أجور على نفسي حتى لا يجور القوم عليك — فأنا مازلت أحبك شاني دائما، أما ما قام بنفسك من شك في وفي حبي لك فأنت وحدك الذي ستمحوه حين تستبين حقيقة نفسي مادمت لم تستبنها حتى اليوم، وما دمت يا سيدي تعتقد — رغم كل ما أبنت لك — أنني كنت أداهنك وأداجيك. ولعمري أي فائدة تعود علي من المداهنة والمداجاة وأنا لم أطلب منك يوما مطلبا لنفسي ؟.. أي فائدة وقد أغريت لتركك بالمال فكنت أسب كل من يجرؤ على هذا. أي فائدة !.. اللهم إلا إذا كنت تظنني أمثل لمجرد التمثيل؛ وحينئذ يا سيدي أصح لي أن أرى في هذا التفكير انحطاطا عما عرفته فيك من ذكاء لماح ... ولكن دعني يا سيدي أقل الحقيقة ... إنك عجبت أن يكون في العالم إخلاص كإخلاصي، واستبعدت أن يحب شخص شخصا مثلما أحببتك، وخشيت أن أكون كاذبا فقلت في ضميرك : لأرح نفسي من عناء البحث والاستقصاء والتحليل، ولأقطع بيني وبينه الصلات قبل أن يفجعني بالخيانة. ولو أنك نظرت إلى ماضي وأنت تعرفه لعلمت أن مكانك من نفسي ليس بالغريب ... لقد كنت يا سيدي بمثابة الواحة التي يجد بها التائه ماء وظلا وعيشا، فهو قائم بها لا يريم ... كنت ياسيدي كذلك في حياتي وما تزال يا سيدي كذلك ولن تزال.

لعلك تعجب لم أكتب إليك كل هذا الكلام ... كتبت لأبين لك عما ينتفض به حسي، ولأطمئنك على قابل من الأيام فلا يملكن عليك العطف شعورك، ولتهدأ بالا ولتثق يا سيدي أني لن أسادق بعدك أحداً حتى لا أجرح فيه مرة أخرى، ولكني سأعيش، وسأعيش بما أتحته لي من شهرة، فأنالك أيان تاق بي الأيام رحلها، ولكني أستحلفك ياسيدي ألا تعامل غيري بمثل ما عاملتني ... على أنه لن يتاح لك أن تفعل، فإن أحداً لن يحبك أو يخلص لك كما أحببتك وأخلصت لك — لأن أحداً لم يأت في حياته إحداثاً كما لاقيت. والسلام عليك ورحمة الله.

قرأ صاحبي الخطاب وأنا أتابعه مأخوذاً بأسلوبه المترسل عاجباً من إخلاصه المكين ؛ وما انتهى الصديق من القراءة حتى صوبت إليه أتوزل :

— فمن الكاتب ؟

— لقد عرفت شخصيته وما أظنك بحاجة إلى معرفة اسمه.

— ولم أقصيته عن موارد حبك بعد أن أتحتها له ؟

— لقد أجاب هو عن هذا السؤال خير إجابة.

# القوة الحربية لمصر والشام
## في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

( تتمة )

واقتضت الضرورات الحربية هدم بعض المدن التي يخشى أن تكون خطراً في يد العدو إذا سقطت في يده ، وقد رأينا أمثلة لذلك في فصل الحروب السياسية .

ومن تلك المدن التي هدمت مدينة تنيس التي أمر الملك الكامل سنة ٦١٤ بتخريبها ، فخربت وظلت خراباً إلى اليوم[١] ، ومدينة دمياط ، ففي عهد المعز أيبك اتفق المماليك على تخريبها خوفاً من مسير الفرنج إليها مرة أخرى ، فوقع الهدم في أسوارها سنة ٦٤٨ ، وخربت كلها ، وعميت آثارها ، ولم يبق منها سوى الجامع ، وصار في قبليها أخصاص على النيل ، سكنها ضعاف الناس وسموها النشية ، وهي أساس مدينة دمياط الحالية . وفي عهد بيبرس أخرج عدة من الحجارين سنة ٦٥٩ لردم فم بحر دمياط حتى لا تستطيع سفن الأعداء دخوله ، فمضوا وألقوا فيه من كبار الحجارة ما ضيقه ، حتى أصبح من العسير دخول مراكب البحر الكبار منه[٢] ، ولا يزال على ذلك إلى الآن .

وإذا كانت الضرورة الحربية قد قضت بهدم بعض المدن ، فقد أنشأت الحرب بعضاً آخر ، كمدينة المنصورة التي أنشأها الملك الكامل سنة ٦١٦ ، بعد أن ملك الفرنج مدينة دمياط ، فإنه نزل بموضع هذه البلدة ، وخيم به ، وبنى قصراً لسكناه ، وأمر من معه من الأمراء والجند بالبناء ، فبنيت هناك عدة دور ، ونصبت الأسواق ، وأدار عليها سوراً مما يلي البحر ، وستره بالآلات الحربية والمتاتر ، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط ، وأخذت تنمو من يومئذ حتى صارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والأسواق[٣] ، وفي هذه المدينة نزل الصالح أيوب عندما هاجم الفرنج دمياط ، فأصلح سورها وجعل المتاتر عليه ، وشرع الجند في تجديد الأبنية هناك[٤] ، وبعد موت الصالح بها ، دارت المعركة التي انهزم فيها الصليبيون هزيمة نكراء .

وأنشأ الصالح أيوب مدينة في أول الرمل المذاهب إلى الشام من مصر ، سميت الصالحية ، وكان ذلك سنة ٦٤٤[٥] ، وجعل فيها سوقاً جامعة ومسجداً ، وقد أنشأها لتكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل[٦] ، ومنذ ذلك الحين اتخذها الجند مركزاً لهم إذا خرجوا للغزو ، أو عادوا إلى مصر .

* * *

وكان لمصر في ذلك العصر علم يميزها ، كان لونه في عصر الدولة الفاطمية أبيض[٧] ، مكتوباً عليه بلون لعله أصفر قوله تعالى : نصر من الله وفتح قريب . وتختلف أحجام الأعلام ، إلا أن أكثرها استعمالا كان طوله ذراعين في عرض ذراع ونصف[٨] . وكان إلى جانب هذا العلم الرسمي علمان خاصان بالطليعة ، يمرقان بلوادي الجند ، وهما رمحان طويلان ، مليسان

(١) الملوك جـ ١ ص ٢٢٤

---

— أو ما زال مقصيا !!

— أو تظنني إلى هذا الحد من الجحود ! لقد ذهبت إليه أستغفره فقال ... إن كل ما أرجو أن يبلغ إخلاصي له مبلغ إخلاصه لي ... أرجو الله معي .

— والله إن لم تخلص له فأنت أكبر جحود وأبله ، وأعيذك أن تكون ولن تكون ... فبالله عليك لا تسر به إلا إلى الخير .

— إلى الخير دائماً إن شاء الله ... إلى الخير .

ثروت أباظة

(١) خطط المقريزي جـ ١ ص ٣٦١
(٢) خطط المقريزي جـ ١ ص ٣٧٣
(٣) المرجع السابق ص ٣٥٥
(٤) حاشية النجوم جـ ٥ ص ١٥ نقلا عن خطط المقريزي
(٥) الملوك جـ ١ ص ٣٣٠
(٦) تاريخ التمدن الإسلامي جـ ١ ص ١٥٢ وخطط المقريزي جـ ٢ ص ٢١٨
(٧) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٨٠

بأنابيب من ذهب إلى حد أستتم ما ، وبأعلاها رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين (١).

فلما جاء صلاح الدين اتخذ راية ذات لون أصفر (٢)، وكأن في ذلك إشارة إلى أن مصر وإن كانت قد عادت إلى أحضان الدولة العباسية — مستقلة ذات كيان خاص بها ، ولست أدري إن كان هذا اللون الأصفر لون أعلام نور الدين أو هو لون انفرد به صلاح الدين ، لأننا نجهل لون راية نور الدين ، ولعلها كانت سوداء كرايات العباسيين .

ولا نعلم بوجه التحقيق السر في اختيار صلاح الدين هذا اللون . أما سر اختيار الفاطميين للون الأبيض ، فهو مخالفتهم المخالفة التامة للعباسيين ، الذين اختاروا اللون الأسود شعارا لهم فعلى الضد منهم اختار الفاطميون لون أعلامهم .

وظل العلم الأصفر علم الأيوبيين والمماليك من بعدهم ، وكان من الرايات عندهم عدة أنواع : فمنها راية عظيمة من حرير أصفر ، مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه ، وتسمى العصابة ، وراية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ، ورايات صغر صغار تسمى السناجق(٣)، وصار المتولي أمر الأعلام السلطانية في عهد المماليك وظيفة أمير علم ، أما العلم دار فهو لقب الذي يحمل العلم مع السلطان في المواكب (٤) .

* * *

ولم أعرف زي الجند في العصر الفاطمي سوى أنهم كانوا يلبسون السراويل والبرانس (٥) أما بعد ذلك فقد أدخل سلاطين الأيوبيين لبس الكلوتة بمصر Calotte ، فكانوا يلبسون الكلوتات الجوخ الصفر على رءوسهم بغير عمائم ، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها ، وكذلك كان يفعل أمراؤهم وجندهم ومماليكهم . ولم يزل السلاطين والجند يلبسون الكلوتات الصفراء بلا عمامة إلى عصر المنصور قلاوون فإنه أضاف لبس الشاش على الكلوتة ، وقد صارت تصنع من الصوف الملطى الأحمر ، وفي عهد ابنه الأشرف خليل رسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركشة ، حتى يميز الأمير بلبسه عن غيره ، وتركت الكلوتات الجوخ الصفر لمن دونهم . على أنها ظلت تلبس فوق ذوائب الشعر المرخاة ، على ما كان عليه الأمر أولا . وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون استجد الهائم الناصرية وهي صغار ، وحلق رأسه ، وحلق الأمراء رءوسهم ، وتركت ذوائب الشعر .

وفي عهد المماليك كان الجند يشدون أوساطهم بشدود من قطن بطبكي مصبوغ ، وعليهم أقبية بيضاء أو مشجرة حمراء أو زرقاء ، وهي ضيقة الأكمام، وفوق القباء كران بحلق وأزيم وسواق ، والسواق جراب أو كيس من جلد ، وفيه منديل طوله ثلاثة أذرع ، فلما جاء قلاوون صاروا يلبسون الأقبية التترية ، وفوقها القباء الأسلامي ، وعليه تشد المنطقة والسيف . ويتميز الأمراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس أقبية فوق ذلك قصيرة الأكمام (١) .

* * *

وكان العادة في الأسرى أن ينزلوا في معسكر خاص بهم ، تضاف الرجال إلى من فيه من الأسرى ويمضي بالنساء والأطفال إلى القصر الملكي بعد أن يعطي الوزير طائفة منهم ويفرق ما بقي من النساء على الجهات والأقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصناعات ، ويدفع الصغار من الأسرى إلى الأستاذين فيربونهم ويعلمون الكتابة والرماية ، ويقال لهم « الترابي » ومنهم من صار أميراً من صبيان خاص الخليفة ومن كان يستراب به من الأسرى ضربت عنقه ، ولم يعرف قط في الدولة الفاطمية أنها فادت أسيراً من الفرنج بمال ولا بأسير مثله (٢)، أما في الدولة الأيوبية فكانت المفاداة تحدث من الجانبين .

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

(١) المرجع السابق ص ٤٦٩

(٢) الروضتين ج ٢ ص ١١٦

(٣) صبح الأعشى ج ٤ ص ٨

(٤) المرجع السابق ج ٥ ص ٤٥٦ و ٤٦٣ .

(٥) نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ١٧٨

(١) خطط المقريزي ج ٣ ص ١٦٠ و ٣٥٢ وحاشي السلوك ج ١ ص ٤٩٣

(٢) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣١٤ .

# موكب الأبطـــال

للأستاذ علي محمود طه

(هذا هو الفصل الكامل لقصيدة الأستاذ الشاعر التي يحيي فيها أبطال الفلوجة بعد أن استلهم موكبهم الظافر بعض المعاني والخواطر)

أقدم فذاك حديدها ولهيبها ... واغنم جهادها فأنت ربيبها
مجدُ الفتوح الغرُّ أنت وريثه ... والحربُ أنت على المدى موهوبها
ما الحرب إلا ما شرعتَ، ومازالت ... أمٌ تذود عن الحقوق شعوبها
نادت فهبَّ على الدماء ضريجها ... يمشي، ويقتحم السعير خضيبها
شرفُ المحارب أن يعف سلاحه ... إن جارت الهيجاء وهو حريبها
ليجير شعباً أو يحرر أمةً ... لا استباح ولا يضام نجيبها
النصرُ أن تلقى الطغاةَ بضربة ... شمواء لم يُصب الطغاةَ ضريبها
نفذ العدو المستخفُّ بطعنة ... إن لم تمته، غدا تميتُه ندوبها
والمجدُ أن تحمي وراءك قريةً ... شاءت مسالكها وضاق رحيبها
جُن الحديدُ بأرضها وسمائها ... فجرى وطار، تصيبه ويُصيبها
شدت يدُ الفولاذ حول نطاقها ... حلقاتِ صبح النارُ: كيف أذيبها؟!
بالروح والإيمان أنت قهرتها ... بأساً، فلان على يديك صليبها
حتى إذا أعيا العدوَّ جلادُها ... روعتْ بجحافله وطاش وثوبها
عضت على كفيه، والتمت على ... ساقيه، وانسدت عليه دروبها
ومشت له منها ضراغمُ غابة ... كلُّ الردى أحلاسها وثيوبها
قذفت به عنها، وغودر جيشه ... بَدداً تعقّبه الحتوف وحُوبها
جثثاً تعاف البيدُ شربَ دمائها ... ويعفُّ كاسرها ويأنف ذيبها
شرفاً كماةَ النيل أيُّ بطولة ... راع الكماةَ فنونها وضروبها
وموافف لكمو تُشيد بذكرها ... دولٌ وراء النار قام رقيبها
وملاحمُ الأبطال في «فلوجة» ... قصص الكفاح غريبها وعجيبها
«هومير» ماغنى بها «طروادة» ... وكتلها ما ألهمتهُ حروبها!

ضربوا الحصارَ على الكماة لجاهم ... فطن الشجاعة في الحروب أريبها
متمرّسٌ بطباعها متفرّسٌ ... في روعها، يَقظ الخطى مرهوبها
غادٍ أحمُّ كأنما احترقت به ... حربٌ من الميلاد كان نشوبها
فما وشبٌ، عليه من يحمومها ... أدمٌ زهاهُ من السماتِ سهوبها
طلعت به إفريقيا وتطلّعتْ ... آجامُها وجبالها وسهوبها
يزري بما نصب الدُّهاةُ لصيده ... ويضلُّ أشراكَ الردى ويخيبها
ما زال مصطرعاً يصول ودونه ... بيداء ينشأها الظمأ ويجوبها
ساق الطغاةُ لها فرائسَ فتنة ... حمراء ينفخ في الجحيم ربوبها
عرضت مآتمها بهم وتقدّمت ... أمم تمور على الرمال ذنوبها
حتى رأته كوى السماء ففتحتْ ... وتلألأت بسنى السلام ثقوبها
ومشى الكميُّ أشمَّ بين رجاله ... أبطال حرب لا يقر سليبها
إن يُستذلَّ ترى عليه دماؤهم ... سالتْ. لقد روّى الحياةَ صبيبها

يا أيها الأبطالُ مصرُ إليكمو ... بالنار يَستبقُ الشبيبةَ شيبها
وعقائلٌ خلف الخدور هواتفٌ ... كالطير أذّنَ بالصباح هبوبها
ينثرن بالريحان فوق رؤوسكم ... طاقات ورد ليس يذهب طيبها
وهتفن غمائمُ في السماء تُظلّكم ... ويرفُّ مُصعِّدها لكم ومصيبها
وعلى طريق المجد من «فلوجة» ... نُهج تحوطكم، في التراب وجيبها
شهداؤكم ردُّوا هنالك لو أنهم ... قدموا بألوية يروع خضيبها
طلعوا بنور الفجر فوق مآذن ... تدعو، ورجعُ السماء يجيبها
هانوا حديث الحرب كيف تطامنت ... لكمو مفازُعها وهانَ عصيبها
في قرية محصورة كسفينة ... في لجية هاجت وماج غضوبها
لم تدرِ فيها الريحُ أين قرارها ... والشمس أين شروقُها وغروبها
كم حدّثوا عنها وقالوا في غد ... للقاع تهوي أو يحينُ رسوبها
وبمصر والدنيا عيونُ أحبة ... ألسهدُ والألمُ المضُّ حبيبها
ترعى النهار، وتتقي غسق الدجى ... هذا يُطمئنها وذاك ربيبها
إيه كماةَ الشرق كم بجهادكم ... تشدو العصورُ بعيدها وقريبها
هذي الضفافُ وهذه داراتكم ... دارات شمس لا يحول شيوبها
تزو لكم وتكاد من أشواقها ... تمشي او كيف حراكها ودبيبها؟
لم لا أغنيكم قوافٌ التي ... غنى بملحمة الحياة طروبها
هي من دراستكم ووحي جديدها ... منكم، ومني في البيان ونيبها
بالله إن طُفتم بساحة عاصمٍ ... تَرعاهُ مصرُ عيونُها وقلوبها
فتقدّموا تحت اللواء وقرّبوا ... هذي السيوف الدامياتِ غروبها
أحييت له ولمصر أيَّ مجادة ... هي زُخرُها المأثورُ وهو وهوبها
هيهات تُنبتُ تربةٌ غيرَ العلى ... ما دام يُسقى بالدماء خصيبها

علي محمود طه

# تعقيبات

## للأستاذ أنور المعداوى

حول العبقرية والحرمان :

أستاذى ... ...

قرأت لكم مقالا تحت عنوان « العبقرية والحرمان » بأحد أعداد الرسالة الزهراء . وكنت كعادتى كلما تناولت ملهماً مبدعاً حتى أننى قرأت المقال مرات ومرات ، واستوقفت نظرى بين ثناياه كلمات كتبتها عن « بيرون » الشاعر الإنجليزى العظيم عندما تقول : « إن بيرون فى الأدب الإنجليزى قد أبدع أعظم آثاره الفنية وهو يتقلب فى محبوحة من العيش لا تنهيأ إلا لمن كان فى مثل مركزه الاجتماعى العظيم » .. وفى الوقت نفسه تحاول السيدة أمينة السعيد فى كتابها عن شاعرنا هذا ، وهو أحد أعداد سلسلة « اقرأ » أن تنقض هذا الرأى وأن تقول إن التاريخ الأدبى لم يخلد « بيرون » وأشعاره إلا يوم أن كان يعيش تحت ظلال الحرمان ! وإليك هذه السطور التى كتبتها عنه : « كانت طبيعة بيرون الحقة إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلبه فى سهولة وقوة وعذوبة ، وإذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحى بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وظل على هذا الحال طوال حياته ، فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأكثرها خلوداً » . إلى هنا ينتهى رأى الكاتبة الأديبة . وهو رأى يحتاج إلى التأمل العميق والحكم بأى الرأيين أصوب — إننا نقدس حرية قلمك ونزاهته ، ونأمل أن يكون الرد على صفحات الرسالة .

عبد العال حسن إسماعيل
( معهد نزاد الأول بأسيوط )

أشكر للأديب الفاضل كريم التقدير وأدب الخطاب ، وأسجل إعجابى بهؤلاء الشباب المخلصين للأدب والفن من طلاب الأزهر فى هذه الأيام ؛ وإنها لظاهرة تبشر بالخير فى مجال خلق جيل جديد يقرأ ويناقش وينهل من ينابيع المعرفة فى شتى فنون الفكر وألوانه — من حق هذا الجيل الجديد أن أحييه على صفحات « الرسالة » ، لأن الكثرة الغالبة فيما أتلقاه من رسائل ممتازة هى من طلاب الأزهر لا من طلاب الجامعة !

بعد هذا أجيب الأديب الفاضل بأن هذه الكلمات التى جرى بها قلم السيدة أمينة السعيد تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل عبقريك هايني ، وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون . ولقد كنت أرجو أن يكون رأى الأديبة المصرية قائماً على دراسة شعر بيرون مرتبطاً بحياته ومقترناً بطبيعته النفسية والخلقية ، ولو أجهدت نفسها فى هذه الدراسة لخرجت برأى غير الرأى ونظرة غير النظرة ، ولكن كتابها فى ميزان أدب التراجم لا يعدو أن يكون قصة طريفة تدور حوادثها حول شخصية بيرون ومغامراته وزواته ورحلاته ! ومعنى هذا أن الدراسة النقدية لشعره لم تحظ من قلمها بنصيب ، وكذلك الدراسة النفسية فى مجال الكشف عن صلة الفن بالحياة ، هناك حيث تكون النفس الإنسانية أشبه بمرصد يسجل كل ما يتلقاه من هزات القلب والشعور !

شخصية بيرون الأدبية والإنسانية شخصية جلية المعالم واضحة السمات . لقد انحدر من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناء عن آباء ، ولكن بيرون خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة ومواهب الفنان ، ولقد خففت هذه من حدة تلك فلم يلق الحياة بالشر المطلق الذى يلتى الإحساس بالألم العارض والهم العابر ووخزات الضمير .. كان جل همه أن يشد متعة النفس ولذة الجسد وزوة العاطفة ، لا ينيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الرجل الجميل المدلل الذى لا يد عينيه أبداً إلى أمام ! وفى محيط الشر والإثم كان « الفنان » الذى فى دمه يستيقظ من حين إلى حين ، ومن هنا كان بيرون يتألم ولكنه الألم العابر كما قلت ، يطرق بابه ليرتد عنه بعد لحظات أمام جموح الشباب المترف الذى يحطم فى سبيل غايته كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! الألم فى حياة بيرون لم يكن ألماً بالمعنى المفهوم عند شاعر مثل هايني ، ولكنه كان لوناً من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفى رحاب هذا التحرر كانت تنبت أغانيه... حلوة ، صافية ، عميقة . لقد خلق بيرون وفى دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحواً والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب صمت منه بعض الثناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار متحجرة

ساخطة ، ثائرة ، تنعى هذا الظلام الذى لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء ! من هذه الكلمات الموجزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التى لا غموض فيها ولا تعقيد . . . يقول بيرون : « لقد هبت من نومى ذات صباح فألفيتنى مشهوراً بترديد اسمى على كل لسان » ، قالها بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى أيدى الناشرين فدفعوا باسمه إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذى حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلدهارولد » ، وإنه فى رأى الفن لخير أعماله الأدبية على الإطلاق ! . . . لقد جادت قريحته الوثابة بهذا الشعر فى لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون فى ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به عباب البحر إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هى الحياة . . الحياة التى كانت تفجر الشعر فى أعماقه تفجيراً ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه وأعذب أغانيه ، هناك فى « تشايلدهارولد » !

وإذا ما تردى بيرون فى هوة الإثم والفسق والفجور سمدت نزواته وسمد فنه وسمد قراؤه . . إنها لحظات الصفاء بالنسبة لرجل يرى السعادة فى إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الجامحة الشريرة فى شخص « أوجاستا » أخته من أبيه . . ومن هذه النزوة المحرمة فى شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون فى « عروس أبيدوس » ، وهى القصة الشعرية التى تصور قصة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سليم » أو قصة الهوى الآثم بين « أوجاستا » و « بيرون » على التحقيق ! صحيح أنه سجل آلامه المنبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم فى بعض شعره ، ولكن الحقيقة التى بقيت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه المثابرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويفتر هناك . . يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور .

إن العبقريات كما سبق أن قلت صادق : بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال . . ومن البعض الأول كان بيرون ، ومن البعض الثانى كان هاينى ، ومن البعض الثالث كان جوركى ، ولعل فى هذه العجالة ما يهدى الأدباء المصرية إلى معالم الطريق !

### الى صديقى الشاعر المجهول :

رسالتك القوية الروح تقلقنى إلى عالمك . . إن عالمك كما بدا لى من خلال كلماتك زخرف عليه الإنسانية بجناح من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان . لقد ناديتنى بهذه الكلمات العميقة : « أخى فى الفن ، أخى فى النقد ، أخى فى العروبة ، أخى فى الإسلام ، أخى فى سماوات الفن الإنسانى الرفيع » . . وشاء ذوقك الصوفى أن تضفى على قلمى المتواضع من الثناء الجم ما لا طاقة لى على ذكره !

لماذا آثرت ألا تذكر لى اسمك ؟ إننى أود أن أعرفك أيها « الإنسان » . . ويسرنى أن تبعث إلى بشىء من إنتاجك لأراك رأى الفكر حين يعز على أن أراك رأى العين !

تسألنى ما هى الأبحاث التى تتطلعت إلى الأعماق وحازت قبولى ، وما القصص الذى قدرته وما التراجم والدواوين والأبحاث النقدية التى أرى فيها ومضاً من فكر ونوراً من حس ، وإدراكا للقيم الحقيقية دون التفات إلى البهرج الزائف والتلألؤ المصنوع ؟

معذرة إذا قلت لك إن هذا السؤال يحتاج إلى شىء من التحديد ، فأنا لا أدرى إذا كنت تريد الجواب عن هذا كله فى نطاق الأدب العربى أم فى نطاق الأدب الغربى أم فى نطاقهما معاً ! إننى فى انتظار رسالة منك تحدد لى فيها ما تريد الجواب عنه .

ولك يا صديقى المجهول تحية ملؤها الود الخالص والتقدير العميق

### لحظات مع ايليا أبى ماضى :

قلت فى عدد مضى من « الرسالة » إن فى شعر المهجر شيئاً يثير إعجابى ، وأوثره بتقديرى ، وأشعر نحوه بتجاوب الفكر والعاطفة ... ذلك هو عمق الصلة بين الفن والحياة ! الحياة فى شعر المهجر نفس عميق ، وحس رقيق ، ونبض شعور متدفق . ولعل هذه القصيدة التى صدح بها أبو ماضى فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له فى دمشق من خير ما قرأت إشراقة لفظ ، ورحابة أفق ، وأصالة شاعرية ... عنوان القصيدة « عجباً لقومى » ، ومطلعها هذه الأبيات :

حى الشآم مهنداً وكتائبا ... والغوطة الخضراء والمحرابا
لبست قبابا ما رأيت وإنما ... عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها ثلثم عصوراً للعلى سكنت حمى وترابا

هنا وفى كثير من شعر أبى ماضى نلمس الصدق فى الفن كما نلمس الصدق فى الشعور ، وحسب الشاعر المطبوع أن يعبر عن وقع الحياة على وجدانه فيصدق فى التعبير ، وحسبه أن تمر به

التجربة الشعورية فسجلها في صدق وأمانة ، وحسب الناقد أن يتتبع مظاهر الصدق الشعوري في تلوين الصورة ، وأن يفتش بعد ذلك مظاهر الصنعة الفنية في إبراز الإطار ! أرأيت إلى التناسب النادر بين ضخامة اللفظ والمعنى والخيال في البيت الثاني ، وإلى قوة الوثبات التعبيرية والنقلات الموسيقية في البيت الثالث ؟ إن الإيقاع هنا يتعاون مع التعبير فإذا الشعور ينساب مع رنين الكلمات ويهتز تجاوباً مع درجات السلم الموسيقي : فالشم بروحك أرضها — تلثم عصوراً للعلى — سكنت حصى وتراباً .. إن التوزيع الإيقاعي هنا أشبه بتوزيع الضوء في يد مهندس فنان !

وانظر إلى هذا التوزيع الممتاز مرة أخرى حين يخاطب « بردى » بهذه الهمسات :

روح أطل من السماء عشية فرأى الجمال هنا فحن فذابا
وصفا وشف فأوشكت ضفافه تنساب من وجه به منسابا
بردى ذكرتك للطاغين فارتووا وبنى الهوى فترشفوك رضابا
مرت بك الأدهار لم تحبث ولم تفسد وكم خبث الزمان وطابا

وإذا ما انتقل أبو ماضي من مناجاة « بردى » إلى مناجاة « شهيد ميسلون » نقلك معه من أفق إلى أفق .. إن صوته الهامس هناك قد بدأ يطلع هنا في نبرات قوية صاخبة ، وكذلك موسيقاه . إنها لم تعد تلك الأنغام الهادئة الوديعة التي تنطلق من ناي أشبه بناي الرعاة ، ولكنها تستحيل هذا أنغاماً أخرى تهز مسامعك منها ضربات موسيقية عاصفة ، كتلك التي تطالعك من « سونانة » لبيتهوفن قبل أن تشرف على الانتهاء :

إني لأرعى بالفتى وأحبه هوى الحياة مشقة وعذابا
ويضوع عطراً كلما شد الأسى بيديه يبرك قلبه الوثابا
ويسيل ماء إن حواه فدفد وإذا طواه الليل شع شهابا
وإذا المواصف حجبت وجه السما
جعل المواصف للسما أسبابا

هنا لون من الغناء ، ولكنه الغناء الحماسي الملتهب الذي يتلاءم وشعر اللاحم ، وهكذا يكون الشعر : همساً في مواضع الهمس ، وحرقة في مواقف الحنين ، وارتفاع نبض وجهرة صوت في لحظات التوهج والتوثب والانطلاق ! .. وقف طويلا أمام هذه الصورة الفنية التي اكتملت لها الأبعاد والزوايا في مجال التسلسل التعبيري : يضوع عطراً إذا ما عركك قلبه الأسى — يسيل ماء إذا ما حواه فدفد — يشع شهاباً إذا ما طواه ليل — يجعل المواصف أسباباً للسماء إذا ما حجبت المواصف وجه السماء ... إن الشاعر هنا لا ينظم فحسب ، ولكنه يشرف من قمة الفن على الحركة النفسية في شعره ، كما يشرف الجندي البارع من فوق منصته على حركة المرور في ميدان يموج بالمارين !

بعد هذه المناجاة الحارة لشهيد ميسلون يضرب أبو ماضي بجناحيه القويين في أفق آخر ، حين يعرض لموقف العرب المتخاذل من القضية الفلسطينية . . . ومعذرة إذا ما اقتصرت على ترديد أبياته في هذا المجال بيني وبين نفسي لأن قلم الرقيب هناك ! حسبي أن أثبت هنا هذه الصرخات :

دنياك يا وطن العروبة غابة حشدت عليك أراقماً وذئابا
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً واجعل لسانك مخلباً أو نابا
لا شرع في الغايات إلا شرعها فدع الكلام شكاية وعتابا
هذي هي الدنيا التي أحببتها وسقيت غيرك حبها أكوابا

إن وراء هذا الشعر شاعراً جبار الجناحين مكتمل الأداة !

رأي في ترجمة آلام فرتر :

في جلسة جمعت بين نفر من أسرة « الرسالة » وزائري ندوتها الأدبية ، دار حديث عابر حول الكلمة التي عقبت بها على رأي الأستاذ سلامة موسى في ترجمة آلام فرتر للشاعر الألماني جيته . . . وكان التعليق الوحيد من الأستاذ صاحب « الرسالة » هو أن مد يده إلى أحد أدراج مكتبه ، ثم أخرج منه رسالة بعث بها إليه المستشرق الألماني الدكتور جولياس جرمانوس حول ترجمته العربية لآلام فرتر . وتناولت الرسالة وقرأتها فإذا هي قطعة من التقدير العميق والإعجاب البالغ ، بترجمة يقول عنها الدكتور جرمانوس إنها تستحق منه خالص التهنئة على مطابقتها للأسلبين الألماني والفرنسي ، مطابقة بلغت الغاية في الأمانة والصدق وبلاغة الأداء !

ولم أجد بداً في سبيل تحديد القيم ووضع كل شيء في مكانه ، من أن أطلب إلى الأستاذ الزيات أن يأذن لي بترجمة هذه الرسالة التي فرض عليه التواضع أن تبقى في مكتبه دون أن يطلع عليها الناس ... وفي العدد المقبل أقدم الترجمة العربية لرأي المستشرق الألماني في ترجمة صاحب « الرسالة » لآلام فرتر .

سر الأشعار ولوعة التركي :

لو علم الأستاذ كامل محمود حبيب أي جراح أثارتها في نفسي تعمته ، لتردد طويلا قبل أن يتفضل مشكوراً باهدائها إلى ... أيها الأديب الصديق ، لماذا بعثت بكلماتك من طواياً حلم دفنته ، أشلاء ماض جريح ؟ إن هذا الماضي الذي تهد يوماً في سحيق عظامي ، ستجيبك أطيافه في العدد المقبل وتناجيك رؤاه !

# الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والفن في المعرض :

لم يخل المعرض الزراعي الصناعي القائم في الجزيرة ، من روائع الفنون ، وأهمها الرسم والنحت . وأبرز ناحية تجلى فيها الفن بالمعرض « متحف الحضارة » الذي يمثل الحضارة المصرية من العصر الحجري القديم إلى العصر الحديث ، بالتماثيل والنماذج واللوحات والخرائط . وأول ما يطالع القادم على المتحف تمثال كبير للإنسان الحجري القديم وقف في مدخل كهفه ، والمنظر رائع من غير شك ، والتمثال موفق التكوين من حيث الدلالة على فكرته ، غير أن باب الكهف الحجري محكم منتظم الشكل مما لا يتفق مع العصر الذي يمثله ، وفي القرى المصرية الآن أبواب أقل منه إحكاماً وانتظاماً ، وما يتصور العقل أن يكون باب الكهف في العصر الحجري القديم أكثر من حجر غير منتظم يسد به المدخل على قدر الإمكان البدائي .

ويشتمل المتحف على حجرات خصص كل منها لتمثيل عصر من العصور ، وقد احتوت على مجسمات ورسوم وأدوات تصور مظاهر الحياة في العصر . وأنت تحتاج إلى نحو ساعة تطالع فيها تلك المروضات الفنية ، فما تنتهي منها إلا وقد ألمت بالخصائص البارزة في عصور التاريخ بمصر ، من العصور البدائية إلى أن ترى الفاروق يرفع العلم المصري على القلعة ، ويوزع الإقطاعيات على ستار للزارعين ، ويضع الحجر الأساسي لمشروع كهربة خزان أسوان ، ولو تأخر الفراغ من إعداد المتحف قليلا لرأيت به الفاروق يسابق بطل الفلوجة الأمير الاي السيد طه بك في يوم عيد البطولة .

وقد استرعى انتباهي في المتحف ما كتب على كل من المناظر الطبيعية المجسمة وهو « ديوراما (١) » و « ديوراما (٢) » الخ . والكلمة تدل على المنظر الطبيعي المجسم . ويقول المشرف على المتحف : لم يضع لنا المجمع اللغوي كلمة عربية بدل « ديوراما » والمتحف كله عربي مصري صنعاً ولغة ما عدا ( الديوراما ) .

وقد انتثرت في المعرض — عدا متحف الحضارة — آثار فنية جميلة ، وخاصة في معرض وزارة المعارف الذي صنفت به تماثيل فريق من أعلام النهضة المصرية في شتى النواحي : كعلي مبارك ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول ، ومختار الثال وغيرهم . وهناك مكان خصص لمروضات دار الكتب المصرية التي تتكون من بعض المخطوطات ، وقد وقف جماعة من الطلبة الأزهريين الزائرين إزاء «متن الكافية» يقرؤون بعض عباراته ويتضاحكون ولسان حالهم يقول : هذه الكتب وراءنا وأمامنا !

وفي معرض نقابة الصحفيين رأيت العدد الأول من جريدة « الأهرام » العريقة ، وفي صدره مقال بغير عنوان أوله : « كيفما وجه العاقل أفكاره باحثاً عن حركة العالم الإنساني يرى فروع الحوادث راجعة إلى أصل واحد » فقرأت المقال وسرت مع الكاتب وهو يبحث عن حركة العالم الإنساني ، حتى انتهيت إلى آخره حيث يقول :

« فنلتزم ونتشد بعد معاناة البحث أن نرجع هذه الفروع إلى أصل واحد أنتج هذه النتائج وندعوه بالمقال ودليل الحال حب ذات غير مرتب أصدر طعماً فعل ما ترى » وهذا الحكم المبني على « التأمل في حركة العالم الإنساني » يدل على أن العالم كان في ذلك العهد كما هو الآن : يسوده « حب ذات » وإن كان قد صار « مرتباً » و « فعل ما ترى » لا يزال الطمع « يصدره » فالعالم هو هو لم يتغير غير الشكل وطريقة التعبير ...

ولا أريد أن أمعن في التأمل والفلسفة كما أمعن كاتبنا القديم فأنتقل إلى « الأخبار البرقية الواردة إلى الاسكندرية » وليس السجع في العنوان فقط ، فهذا أيضاً مطلع الأخبار البرقية : « باريز في ٣٠ تموز » ولو أن صحف اليوم تلتزم مثل ذلك النسق لكنا نقرأ فيها مثل « قصر شابرو في ٣٠ مايو » .

ولعل من مظاهر الفنون الجميلة في المعرض ، الرقص — رقص الخيل على نغمات الموسيقى البلدية . ويظهر أن فن الرقص أصيل لدى الفرس ؛ فإن مشيتها العادية تبدو فيها مخايل الفن

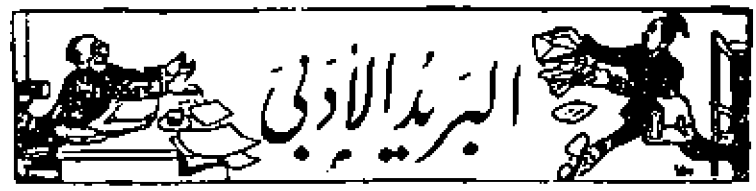


### أين العلوم في (الرسالة) ؟

يسأل الأستاذ عبد المنعم العزبي الأستاذ أنور المداوي : « أين العلوم في مجلة الرسالة » في حين أن هذه المجلة تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » .

لا تلومن الرسالة يا سيدي لأنه إذا كانت كبرى المجلات المخصصة للعلوم قد امتسخت وخلعت عنها ثوب العلم لكي تكتسي ثوباً فضفاضاً ملوناً مزخرفاً لا يمت إلى العلم بشيء ، فلا عبار على الرسالة إذا اقتصرت على الأدب لأن قوام الأدب كثار والأدب أقرب منالاً من العلم . وإذا كانت المجلة الموسومة بالعلم لم تخصص عُشر صفحاتها لمقالة علمية واحدة لأن بين قرائها عشرة بالمئة على الأقل يفهمون العلم ويودونه ، فلا بدع أن تحرم الرسالة ١٠ بالمئة من قرائها من قطرات العلم مع أن في قرائها ٢٠ و ٣٠ بالمئة من أهل العلم ويتوقون إلى الاطلاع على ما يستجد من النظريات العلمية ؛ فإذا خصصت الرسالة في كل عدد ٤ أو ٦ أو ٨ أعمدة لبحث علمي تكون قد أتعبت رسالتها وزرت غيرها .

في معظم ما تصدره مطابعنا من دوريات ورسالات وكتب لا تحيد عن الأدب ، ومعظمه أدب قديم نلوكه ثم نتقيؤه وقد نتقيؤه زعْفاً ، وليس في دور العلم إلا المؤلفات التعليمية المدارس وطلاب العلم .

ما من مدنية قامت على الأدب وحده . وقد يمكن أن تقوم مدنية على العلم وحده . إن مدنية العالم الحديثة قامت على العلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلكية والطبية الخ . فإذا شئنا نحن أن ندبي في شرقنا العربي مدنية خاصة بنا يجب أن نحذو حذو أوربا وأميركا في العناية الأولى بالعلوم ، وإلا فنحن وراء وراء وراء . ولا يمكن أن نتقدم إلى الأمام .

اليابانيون في قرن واحد شرعوا ينافسون الغرب ؛ لأنهم اقتبسوا العلم من الغرب، حتى إنهم اقتبسوا لغة غربية لكي يتعلموا العلوم بها فأصبحت اللغة الرئيسية لهم . أما أن نقتصر على زخرف الكلام والطباعة في صحافتنا فما هو إلا مرقين يخدر العقول ويطمس الصواب .

يحفزني الأستاذ أنور المداوي إلى كتابة بعض مقالات علمية في الرسالة لكي تستوفي الرسالة حقها من العلم كما تستوفي حقها من الأدب والفن . فأشكره حسن ظنه بي وقد أبى طبعه وإن كنت في العلم دون ما يظن وله وللعزبي أطيب تحياتي .

٢ ش البورصة الجديدة — تحويلد الحرار

### أدب القصة وأدب العقب :

تفضل الأستاذ الكبير محرر (التعقيبات) فتناول مقالي عن أدب القصة القصيرة بتعقيب جاء صورة صادقة لأدبه ، فقد توهم أنني عنيته بمقالي، كأن الرسالة مجلة منزلية تنشر وتطبع له وحده ، أما القراء فلا حساب لهم ، وراح يحاسبني — متهكما — على الوقوف منه موقف الأستاذية وهو ما لم يجر في خاطري أبداً . وما توهمت لحظة واحدة أنني أقرر جديداً في أمر القصة ، إنما هي خواطر مرسلة ليس لي فيها إلا فضل القراءة والتحصيل والاستنتاج ، وأقول بكل تواضع أنني واثق تماماً من صحتها .

وقد ترك العقب كل ما أوردت في مقالي من حقائق — لأنه لا يستطيع هو ولا غيره أن ينقص منها حرفاً واحداً — وأمسك بتلابيبي ليحاسبني على ما توهمه ولم أقله مما يثبت جموح النفس وتمكن شهوة التهكم وتجريح الناس من نفسه .

قال الأستاذ الناشب « ... ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفني في القصة القصيرة مجال محدود ... » في حين أنني لم أقل إلا العبارة التالية : « من السذاجة أن يقول قائل إن الأقصوصة ليست ميداناً لعرض صور الحياة المختلفة بما تحفل به من كثرة وعمق وغنى وتنوع » وقد استنتج هو من عندياته أن عكس ما أقول لابد أن يكون غير صحيح ، كأننا بصدد قضية جدلية ! كما أنني لم أقارن مطلقاً بين القصة الطويلة والقصة القصيرة ، ولم أذهب إلى أن القصة القصيرة تبلغ أعلى مراتبها في كل حين ، بل ذكرت أمثلة محدودة وقلت إن الشخصيات الفذة هي التي ترقى بالأقصوصة إلى مرتبة الأدب العالي الشامل العميق ؛ ومن البديهي أن مجال الأقصوصة في أيدي الأدباء من الكتاب مجال محدود .

كما أنني لم أنكر مطلقاً — وليس هذا تراجعاً مني — أن القصة الطويلة أوسع مجالاً من القصة القصيرة أو أنها الميدان الوحيد الذي يتسع لدراسة تطور الشخصيات وتفاعلها مع الحياة دراسة وافية ، بل قلت إن الأقصوصة يجب أن تدور حول محور واحد وتعالج أمراً واحداً معالجة خاطفة فكيف استخرج الأستاذ العقب من مقالي ما ذهب هو إليه ؟؟

ولماذا يحب الأستاذ العقب أن يضع نفسه دائماً في بؤرة الضوء ويلتمس لذلك شتى الحيل فيتوهم أنه المعني بالحديث ، ويقول للناس إن الكتاب يرسلون إليه كتبهم راجين أن ينقدها ويفترض أنه الناقد المثالي الأول فيطن في زهو وصرامة أنه وجد أكثرها تافهاً لا يستحق العناء ؟؟

ويختم الأستاذ كلمته بقوله إنني فزت بجائزة من جوائز الدرجة الثانية في مباراة القصة القصيرة التي أقامتها وزارة المعارف ، ومعنى هذا أن هيئة التحكيم لم تقدر فني ... أليست هذه مغالطة تكشف عن عنصر آخر من عناصر نفسية كاتبها ؟ ؟ ...

نصري عطا الله

## مرسى :

نشرت الأهرام كلمة لأحد الباحثين تحت عنوان « بين العامية والفصحى » ادعى فيها أن ( المدمس ) أصله ( المدمث ) بالثاء المثلثة بمعنى اللين ؛ وأقول إن هذا ليس بصحيح وإليك الأدلة :

أولا : اشتراك المدمس والمدمث في صفة وهي اللين لا يبرر أنه محرف عنه .

ثانياً : المدمس إدام مصري وطعام محلي بحت وهو غير معروف للعرب .

ثالثاً : جاء في « محيط المحيط » للبستاني ما نصه : المدمس طعام في بلاد مصر يصنعونه من الفول المسلوق والخل والملح والزيت اهـ . ولم يقل أنه محرف عن المدمث مع أنه يعنى دائماً بالألفاظ الحديثة والكلمات الدخيلة .

رابعاً : جاء في مادة ( دمس ) ما نصه : دمسه في الشيء تدميساً دفنه وخبأه وأخفاه وغطاه وستره اهـ . ومن هذا أخذ المصريون كلمة المدمس وأطلقوها على الفول المطهي بوساطة الحمام أو الفرن أو نحوها لأنه يوضع في قدر بها ماء ويسد فمها جيداً وتدفن في الرماد الحار حتى تنضج .

خامساً : يمكن اشتقاق كلمة المدمس من ( الدمس ) بكسر الدال وتسكين الميم وهو ما يتخلف من روث المواشي ويتخذ وقوداً يوضع في الفرن ونحوه فيتخلف عنه رماد حار توضع فيه القدر بالطريقة السالفة .

سادساً : تسمع في الريف كلمة ( المدمة ) بكسر الدال وتسكين الميم وهي عبارة عن مكان محفور أو غير محفور يوضع فيه الدمس السابق وتشعل فيه النار للتدفئة وغيرها ، ويقولون دمس المدمة دمسا إذا وضع فيها الدمس . ومما يؤيد هذا : الفطير الدمامسي ، وهو المصنوع على الدمس .

علي حسن شعول
محرر بالمجمع اللغوي

## بين ناشر ومحرر :

أرسل إلينا الأستاذ عبد الرحمن الخميسي يقول إن لديه رداً على ما أخذه عليه الأستاذ المداوي في « التعقيبات » ، ويرجو أن يفرغ منه هذا الأسبوع لينشر في العدد القادم .

## فصيح ثعلب والشروح التي عليه :

مجموعة جديدة في فقه اللغة أخرجها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي المدرس بكلية اللغة ونشرتها مكتبة التوحيد بالجامع في نحو الخمسمائة صفحة .

وتشمل هذه المجموعة : كتاب فصيح اللغة لثعلب ، وكتاب شرح الفصيح للهروي ، وكتاب ذيل الفصيح للبغدادي ، وكتاب فعلت للزجاج ، وكتاب الاشتقاق الكبير لابن دريد . وكلها من أمهات الكتب في اللغة العربية وفقهها .

ومع هذه المجموعة : دراسات وتحقيقات جديدة قيمة في اللغة ، وشروح وتعليقات وافية .

ونشر معها لأول مرة في تاريخ الثقافة العربية شواهد الكتاب لسيبويه مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مع الإشارة إلى مواضع الشواهد من الكتاب لسيبويه .

ونحن في غنى عن التنويه بهذا العمل العلمي ، وبقيمته اللغوية وأهميته للدارسين والباحثين .

ويطلب الكتاب من مكتبة التوحيد بالجامع أمام الخديوية وثمن النسخة خمسة وثلاثون قرشاً .

# وميض الأدب
## بين غيوم السياسة
### لصاحب المعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا

بقلم الأستاذ أحمد أحمد العجمي

معالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا وزير المواصلات ورئيس جامعة أدباء العروبة علم من أعلام الشعر والأدب والسياسة، وهو بشخصه العظيم وأدبه الرفيع في غنى عن الإشادة بذكره والتنويه بفضله. وآخر الدلائل على علو منزلته في الشعر والنثر، ورسوخ قدمه في النقد والتحليل، كتابه القيم « وميض الأدب بين غيوم السياسة ».

ولعل السبب الأول في نشر هذا الكتاب حب المؤلف للشعر حباً سافراً متوقداً يجعله يقول عن القصائد: « وقد أكبر بعضها فأقرؤها واقفاً عند الوثبات التي تتخلل الشعر ... والشعر سحر وفتنة، وقد افتتنت به؛ وفيه خيال، وفي الخيال تسلية ولذة؛ وهو موسيقى، وفي الموسيقى طرب وترويح وبهجة؛ وهو مناجاة تتصل بالروح فتستولي على الشعور وتملك الوجدان. وأعتقد أن الذي لا يهتز لجيد الشعر جاهل أو بليد، أما الجاهل فلا شأن لنا به، وأما البليد فله عذره، لأنه لم يخلق نفسه، على ألا يلوم غيره، وويل للشجي من الخلي ».

بهذا الكلام الجميل، وبهذا الشعور العميق، وبهذا القلم الصناع تناول المؤلف في كتابه أكثر الشعراء والكتاب المعاصرين، فتحدث عن حافظ إبراهيم في موضعين حديثاً ألم فيه بميلاده ونشأته ونواحي نبوغه وذيوع شعره وما كان بين حافظ وبين « بي أباظة » من ود وإعجاب. ثم كتب عن شوقي فصلا صور فيه سحره وعبقريته وجمعه بين الثقافتين العربية والغربية، وتوفيقه البارع في نظم رواياته الشعرية خاصة « مجنون ليلى » التي كان المؤلف يحفظها عن ظهر قلب. وسجل لأحمد محرم أكبر نصر ظفر به حين قال عنه: إنه شاعر الإسلام غير منازع في عصرنا هذا، وأشاد بالإلياذة الإسلامية ورجا من معالي وزير المعارف طبعها.

وكتب عن خليل مطران بلك شاعر القطرين وأبدى إعجابه بتقدير الناس له وكيف انعقد الإجماع على حبه، ونوه بتجديده وبشعره الرقيق في الغزل وقال: إنني مولع بشعر مطران كل الولع.

ثم كتب المؤلف مقدمته الحافلة لديوان الدكتور إبراهيم ناجي « ليالي القاهرة » فأفاض في الحديث عن الجديد والقديم، وعن اللفظ والمعنى، وعن طرق تعبير المدرسة الحديثة في الشعر، وكيف تسربت هذه المدرسة بالحرب العوان، وكيف انتصرت هذه المدرسة التي يمثلها ناجي. وأشار إلى الفروق الدقيقة بين المدرسة القديمة والمدرسة الحديثة في الشعر والتفكير، وإلى شخصية ناجي وطابعه الواضح وعاطفته المتأججة في كل أشعاره الطريفة، وقال عنه: إنني لأحب هذا الشاعر كل الحب، ولا أعتقد أن حبي طغى على تقديري له، فهو شاعر رقيق تصل معانيه إلى قلبك قبل أن تصل إليه ألفاظه في طلاوة وسهولة. وقال: إن ديوانه يمثل نهضة الشعر المعاصر وتطوره. ولعل هذا الفصل أبدع وأروع فصول الكتاب

ثم أبدى المؤلف إعجابه بالأستاذ محمود غنيم وقال: إن ديوانه « صرخة في واد » صرخة الأدب الرفيع سيرن صداها على مدى الأجيال بين آفاق العروبة. ونوه بخصائص الأستاذ العوضي الوكيل في ديوانه الجميل « أسماء بعيدة » وأظهر خصائصه قدرته على صرعة النظم سرعة تكاد تكون ارتجالاً، وإجادته في الرثيات خاصة في ديوانه « أغاني الربيع »، ونظم الشعر الرائع في أسرته وأولاده حتى أعد ديواناً كاملاً سماه « عالمي الصغير ». وقال المؤلف عن الشاعر: فأنا إذ أقدمه إلى قراء الشعر العربي الحديث أقدم موضوعاً كاملاً من الأدب العالي والفن الرفيع.

وقص علينا كيف لقي الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي في « غزالة » لأول مرة في مقدمته لديوانه « أحلام الفجر » — وسيصدر قريباً — وقال عنه: إنه شاعر تنبض العاطفة الحياشة في كل ما يصادف القارئ من قصائده ومقطوعاته، وشبه ديوانه بالعرض الفني العظيم، وعلل كيف يراه يحترق متنبئاً في آن، أو شوقيًّا عقاديًّا معاً.

ويمتاز ما كتبه الناقد المبقري صاحب « وميض الأدب » في الشاعرين: العوضي والغزالي بقوة التحليل ودقة التعليل

وبراعة التدليل والربط بين الشاعرين وأشعارهما برباط محكم لصلتهما به منذ زمان طويل .

وفي وميض الأدب كلمة عن الأستاذ الصاوي شعلان صدر بها كتابه « حكمة الشرق » وبين فيها مقدرته على الترجمة ومعرفته كثيراً من اللغات وفي الكتاب بعض الكلمة القيمة التي نشرت في صدر الرسالة منذ شهور بعنوان « أدباؤنا المعاصرون » يليها نموذج رائع من شعر الشاعر الكبير دسوقي باشا بعنوان « مصر والصين » وهو شعر جدير بوزير . ولا بد من التنويه هنا بأبحاث عظيمة في الكتاب مثل « لماذا حاربنا الصهيونية » و « من مهرجان المربد » وقصيدة العقاد في تكريم المؤلف ، وهي قصيدة قيمة ، ومقدمة ضافية للعقاد في صلة الأباظية بالأدب وحبهم له ، ومنزلة الدسوقي باشا وفضله على الأدب والأدباء ، وفي آخر الكتاب كلمة مناسبة للناشرين .

هذا عرض سريع لفصول الكتاب الذي وفق فيه معالي إبراهيم دسوقي أباظة باشا ودل على مقدرة بارعة وإحاطة واسعة بوفرة ما تمثل به من أشعار الشعراء ، وكان اختياره الحسن دليلا ناطقاً وبرهاناً صادقاً على ذوقه الرفيع .

ولم يخل الكتاب من مناقشات طريفة لبعض آراء كبار الأدباء ، كمناقشة المؤلف رأي الأستاذ عباس محمود العقاد في الشاعر المجدد خليل مطران ، ومناقشته رأي الدكتور طه حسين بك في مرثية الشاعر الخالد حافظ إبراهيم للأباظيين ، ومناقشته رأي أستاذ الجيل لطفي السيد باشا في شوقي وحافظ ، والمؤلف يبدي آراءه ويدلي بحجج قوية ناصعة تخالف هؤلاء الأعلام ، والرجوع إليها في الكتاب أفضل من تلخيصها في كلمات .

وللمؤلف تعبيرات جديدة محكمة كقوله : لغة الشعر غير لغة القاموس ؛ وتعبيرات سديدة حاسمة كقوله : في رأيي أن الشاعر المجدد تعنيه الفكرة ويتعصاه الموضوع ، وربما أبعده هذا عن جمال الأسلوب وإشراق الديباجة وحلاوة التعبير ؛ وتعبيرات لغوية دقيقة كقوله : أمسى اليتيم لطيما « واليتيم من مات أبوه واللطيم من مات أبواه والسجي من ماتت أمه » وتعبيرات ساخرة لاذعة كقوله : فليسمح لي الدكتور طه المعجب بالفيلسوف ديكارت القائل بنظرية الشك أن أشك في إسناده هذا الرأي لأستاذنا الكبير لطفي السيد باشا ؛ وتعبيرات لطيفة ظريفة مرحة كقوله في التعليق على قول مطران :

أقسمتُ ما أشركتُ فيكِ ولم يكن
لي في الهوى دينٌ سوى التوحيد

بهذا البيت اعترف المطران بالإسلام دين التوحيد فاشهدوا عليه ! !

وتعبيرات أخرى يخفى مدلولها على كثير من القراء كقوله : هل يكون الشاعر الأول — بين شعراء الشباب — إبراهيم ناجي أم أبا ماشا أم غنيما أم العوضي الوكيل أم أحمد النزالي أم خميرا أم حاما ؛ وكتابة الأسماء بهذا الشكل الملفوف فيها ترتيب مقصود إلا في اسم أو اسمين .

وفي الكتاب بعض آراء تقبل المناقشة ، ولا خير في كتاب أدب وشعر ونقد ليس فيه آراء تقبل المناقشة ، كقول أديبنا الكبير في شوقي : « تستدبر الأجيال ألف عام حتى تعثر على من يقف في صفه ويصح أن يقارن به ، شاعر واحد بعد ألف عام لك أن تفاضل بينه وبين شوقي — إنه المتنبي » هذا كلام يملي حب شديد لشوقي يوشك أن يكون غلواً أو تعصباً ، والمتنبي يفوق شوقي بقدر ما بينهما من عدد السنوات !!

وقد فضل المؤلف قصيدة خليل مطران على قصيدة حافظ إبراهيم في رثاء البارودي ، وهي القصيدة المشهورة التي مطلعها :

ردوا عليّ بياني بعد محمود  إني عييتُ وأعيا الشرد بمجهودي

بسبب بيت واحد في قصيدة مطران هو :

على الشمس أن تهدي المبصرين  وليس على الشمس أن تبصرا !

والبيت رائع جداً ولكن قصيدة حافظ أفضل بالرغم من أنها لا صلة بالشعر القديم ، وإن كان مطران أعظم من حافظ مع كراهيتي الشديدة لتفضيل شاعر على شاعر فلكل فنان مزاياه .

ويقول المؤلف : محمود غنيم شاعر مرموق المكانة يقف في طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين وليس في بلاد العرب من لا يعترف له بذلك ! ويبدو أنني — بحق وصدق — من بلاد العجم ، لأنني لا أعترف بأن « محمود غنيم » في طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين ، مع إعجابي بفنه الرفيع .

بقيت كلمة في أسلوب صاحب الكتاب ، وقد قدمت منه نماذج كثيرة ، وهو أسلوب ناصع اللون ، واضح الجرس والرنين ، جزل سهل متين النسج ، أقرب إلى الطبع من الصنعة ، وأدنى إلى السحر من الشعر ، وإنه لسحر مبين .

أحمد أحمد العجمي

# سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

## دليل تليفونات الاسكندرية طبعة سنة ١٩٤٩

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التى تختارونها الاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات الاسكندرية طبعة سنة ١٩٤٩ .

والاعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الايضاح اتصلوا :

## بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر


مطبعة الرسالة